محمد بن حامد الأحمري

أيام بين شيكاغو وباريس

رحلة بعد أحداث ١١ أيلول

Twitter: @ketab_n
18.1.2012
Ketab.me
Eqla3 Library
All rights reserved - eqla3.com



مكتبة العبيكان

الكتاب مُهدى إلى الأخ الفاضل
@NAIFaltwaijri

أيام بين شيكاغو وباريس

رحلة بعد أحداث ١١ أيلول

Ketab.me



محمد بن حامد الأحمري

مكتبة العبيكان

Twitter: @ketab_n

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الأحمري، محمد حامد عوض
أيام بين شيكاغو وباريس – رحلة بعد أحداث ١١ أيلول./ محمد حامد عوض الأحمري. – الرياض، ١٤٢٥هـ
٨٠ ص؛ ١٤×٢١سم
ردمك: ٣ – ٦٧٣ – ٤٠ – ٩٩٦٠
١ – الرحلات ٢ – أدب الرحلات
أ. العنوان
ديوي ٩١٠.٤ ١٤٢٥/٧٣١٦

ردمك: ٣ – ٦٧٣ – ٤٠ – ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٤٢٥/٧٣١٦

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر
مكتبة العبيكان
الرياض – العليا – تقاطع طريق الملك فهد مع شارع العروبة
ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرمز: ١١٥٩٥
هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤ – فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

Twitter: @ketab_n



Twitter: @ketab_n

المحتويات

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الإهداء

إلى سامي عمر ورفاق الرحلة

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

المرحلة الأولى

شيكاغو

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

مقدمة

"الغزاة الهادئون":

عرض علي كاتب روايات مبتدئ رواية له، لأقرأها وأبدي رأيي فيها، وكان لديه انطباع بأنني قارئ روايات من الطراز الأول، وسبب انطباعه هذا أنه كان يراني أشتري كتبا كثيرة، فتوهم أنني مدمن على قراءة الروايات، وأعطاني روايته لأقرأها وأفيده في تقييمها. تدور أحداث الرواية في هافانا عاصمة كوبا، وقد خرجت من قراءة الرواية بانطباع أن كاتبها يعرف كل مساريب هافانا، فالرواية تصف المكان، وما يحف به، بدقة وتفصيل، ولما قابلته شكرته على متعة النص، وعلى الأفكار الكثيرة في الرواية التي اهتمت أيضا بالتقارب بين القيم والديانات والشعوب، وخطر ببالي أن توجه الرواية لنقاش قضايا وقيم عالمية، كان السبب في عرضها علي، لأنني سوف أجد مكانا لقومي (لأمتي) فيها. ثم قلت له بعد قراءة الرواية: يبدو أنك خبير بهذه المدينة "هافانا" وبمبانيها وشوارعها وناسها، فقال: قد تستغرب أنني لم أزرها ولم أعرفها أبدا! قلت: فأنى لك بهذه المعرفة التفصيلية؟ قال: لقد قرأت عن هافانا كثيرا حتى أصبحت ولا يكاد يخفى علي منها شيء. وهكذا كتب الرحلات والبلدان، منها ما يزيرك ما لم تزر، ومنها ما يلقي بفكرته على مواقع تعرفها من قبل، فترى وتعرف ما لا تأتيك به السياحة.

Twitter: @ketab_n

ومن قديم عجب علماء الإسلام من إلمام الإمام ابن حزم بالمواقع الجغرافية للغزوات ومناسك الحج، وقاس المسافات بينها وكأنه سار فيها وقاسها بنفسه مع أنه لم يحج. ولكن توفره على الموضوع، وجهده في إدراكه جعله يخبر عنه وكأنه شهده مرات وسار في دروبه. ومن قبل كان صاحب معجم البلدان (ياقوت الحموي) غاية في الأمانة والدقة في كل ما رآه وما سمع عنه وقرأه.

وهكذا فتعرفنا على المدن والبلدان من خلال القراءة عنها هي زيارات لهذه البلدان، ويوم كان سائق التاكسي يدور في أحد شوارع نيويورك طلب منه الراكب أن يمر بمنطقة معينة قال السائق: إنها بعيدة جدا عنا، رد عليه الراكب الذي وصل المدينة لأول مرة بل هذه المنطقة التي نحن فيها وذاك المبنى على اليمين أو الشمال هو مقصدنا، وبجواره كذا ويبعد عنه المبنى الآخر بمسافة كيت! والسائق "النيويوركي" ذاهل ومستغرب لمعرفة المسافر للمدينة الذي يدعي أنه غريب عنها، ويصلها لأول مرة! والسبب قراءة طويلة وتعرف بالمواقع والأماكن والأحداث، فما كانت الزيارة إلا تأكيدا لما اختزنت ذاكرته من صور ذهنية مرئية كانت أو مقروءة.

و لهذا فقد يعرف الغريب ما لا يعرف القريب، وبخاصة في زمن المعارف الواسعة وتيسرها. وقد لا تقرأ هذا الكتاب حتى يكون بإمكانك مشاهدة أي مدينة تحب رؤيتها من خلال زيارة موقعها على الشبكة الدولية للمعلومات، ثم التجول فيها عبر شاشة حاسوبك، حيث تعرض عليك كمرات مثبتة في نواحي شوارع المدينة صورا حية دائمة وملونة بالليل والنهار، مما تحب أو لا تحب. وهنا تستطيع التجول في الشوارع ببصرك، وتتسوق، وربما تشتري البضاعة المطروحة

Twitter: @ketab_n

أمامك، وتتجول في أزقتها ومطاعمها، والفرق أن السائح الذي يجول يتعب وينفق أكثر، والرائي لهذه الصور المتعاقبة أقل إنفاقا وتعبا. ذلك بعض ما يعدون الناس به في مستقبل قريب.

ويبقى أن من يكتب عن موضوع فإنما يعبر غالبا عن اهتماماته، التي تتفق مرة أو تختلف مع القارئ والباحث. وغالبا ما نجد أننا نبحث عما نريد من كلام الآخرين، وليس ما نريد ينطبق بالضرورة على رؤية غيرنا، غير أن ما يلاحظه الكاتب مما نريد أو لا نريد سوف يزيد في معارفنا، ويغذي شهية المعرفة والاستطلاع، ويوسع الأفق، وما من معرفة إلا تفتق الذهن، وتوسعه بحيث يستحيل أن يعود لما كان عليه، والمعرفة تغذي الذاكرة وتوسع الخيال. وقد يكون النفع فيما يهمس به الكاتب دون قصد منه ولا استعداد من قارئه، أو يكون النفع فيما يصدمنا به من حقيقة جديدة، أو تفسير جديد، أصبح عند الكاتب مسلّما لا يسترعي انتباهه عنده، ولكنه بالغ الأهمية والأثر عند غيره.

وقد كتبت بعض ما خطر ببالي خلال زيارة قصيرة، ولكنها غنية، وخففت فيها القول وبسطت العبارة قدر الطاقة، لتكون قراءة مريحة وممتعة، والفائدة تتلو. ولو كنت في صحبتي لرأيت من المشاهد والأمور غير الذي رأيت، وربما فسرت بغير تفسيري للمواقف والأحداث. وعلى الرغم الإقامة الطويلة جدا في الغرب غير أنني عندما انقطعت عنها بضعة أشهر وفي حقبة مهمة رأيت أن قد يكون من المفيد والممتع تسجيل ما تقرأه.

Twitter: @ketab_n

ثم إن لأدب الرحلات ومعرفة الآفاق من الفائدة للأفراد والأمم ما يفوق الوصف والحصر. وليس موطنه الحديث عن رحلة عابرة، في وقت قصير، بل هي مادة للفهم والتطوير للعقول والمستقبليات مما تنوء به الكتابة في قصة رحلة.

وقد أعجبني وصف سارتر للرحالة -ويقصد بهم الرحالة الغربيين في زمانه وما سبقه-، حين سماهم بالغزاة الناعمين أو الهادئين. والرحالة كانوا ولم يزالوا يحملون خيرا للبلدان تجارة وعلما ومعرفة وصداقة. كما أنهم في زمنه حملوا الاستعمار والخراب إلى بلاد كثيرة، وكانوا طلائع توغل الغزو الأوربي في أقطار عديدة.

طريق الرحلة كان من الدوحة إلى شيكاغو عبر فرانكفورت، ثم إلى ديترويت فآن آربر حاضرة الثقافة في ولاية ميشجن، ثم العودة مرورا بباريس. ووقت الرحلة القصيرة كان في الأيام الأخيرة من عام ٢٠٠٢ والعشرة أيام الأولى من عام ٢٠٠٣م، وبعض أحداثها هي ما تقف عليه هنا، وقد سطرت فيها جوانب ثقافية، واجتماعية وحضارية خطرت ببالي وأنا أكتبها أو كانت من لب اهتمامي في تلك الأيام.

وتبقى الرحلة دائما فاتقة للفهم، مغذية للخيال، ومن أخبارها ما يحقق "متعة القراءة"، وقد تمت الكتابة الأولى لهذه الرحلة يوم الاثنين ٢٥ ذوالقعدة ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠٠٣/١/٢٧م

المؤلف

Twitter: @ketab_n

انطباعات أولية

كان دخولي عن طريق مطار شيكاغو سهلا ميسرا أكثر مما توقعت بكثير. ولم ألاحظ تأخيرا لي ولا لغيري عند مكتب الدخول كما يتوقع المسافرون من العالم العربي. وفي مطار شيكاغو لاحظت ما لم أشهده من قبل، وهو الجيش الأمني الكبير الجديد الذي يملأ قاعة استقبال المسافرين من مطار "أوهير"، أغلبهم رجال في منتصف الأعمار، يلبسون القمصان البيضاء والسراويل السوداء أو أنها الزرقاء الغامقة اللون، وعلى أكتافهم شعار الوزارة الجديدة، التي تأسست للأمن الداخلي - بعد الحادي عشر من أيلول- يتسلمون حقيبتك التي يطلبون أن تكون مفتوحة بحيث يستطيعون تفتيشها إن احتاجوا، وكثيرا ما يحتاجون لفتحها؛ لأن أغلب الحقائب إن لم يكن كلها كانت تفتش.

ومن الأنظمة التي جدت بعد أحداث أيلول التحقيق السريع مع كثير من الزوار وبخاصة المسلمين ومن لهم ملامح عربية، وأخذ البصمات، والتصوير الشخصي، والسؤال عن الجوازات القديمة التي سبق أن استخرجها المسافر من أمريكا أو غيرها، والتأكد من العمل ومكان الإقامة وغيرها.

وقد كانت شركات قبل الحدث تتولى الأمن في المطارات، أما الآن فقد عادت للحكومة، وهناك مشاريع لإعادتها مرة أخرى لما

Twitter: @ketab_n

كانت عليه قبل. وأصبحت هناك بطاقة يحصل عليها المواطنون بعد خضوعهم لتفتيش أمني دقيق يعفى حاملها من التفتيش في المطارات.

صعب الذهاب لأمريكا بعد أحداث نيويورك وواشنطن، عام ٢٠٠١م وكثير من الصعوبة تهيّب وقلق لما يمكن أن يحدث لأي مسلم وعربي، والكلام الطويل في الإعلام العربي والغربي عن الموقف من المسافرين يزيد المسافر قلقا لما قد ينتظره عند أبواب الطائرات والمطارات ومكاتب القدوم والوداع.

وفي الطائرة بين فرانكفورت وشيكاغو جلس بجواري رجل أمريكي قريب من عمري، فارع الطول، وافر الجمة، متقد الذكاء، متعدي الشخصية، واسع الثقافة بشكل لم أعهده إلا نادرا، وقد تداولنا عبارات قليلة ونحن في طريق الدخول للقاعة في مطار فرانكفورت، وعندما اقترب دوره من الموظف قال نلتقي في القاعة، والتقينا وكنا نتوقع الحديث قصيرا، ولكن اتحاد بعض اهتماماتنا جعله يغير مقعده، ويجلس بجواري، فامتد الحديث لمسافة الطريق إلى ما بعد هبوطنا في المطار، فقد كان طريفا غريب الأطوار، كثير الكلام، منطلق الشخصية، ملحدا عنيدا شقيا، ما رأيت أجرأ منه على كل شيء. وعند إحدى محطات الكلام الطويل قلت له: إنني في أمريكا كثيرا ما تحدثت للملحدين، ووجدت الكلام معهم فيه جرأة أكبر وموقف أصرح من مواقف النصارى واليهود. رغم كونهم أبعد عني، ولكن ارتكازهم على العقل -فيما يزعمون- بلا دين يخفف عني معهم ثقل الحديث الخرافي مع المسيحيين المحافظين.

Twitter: @ketab_n

وقد فوجئ بهذا القول، وذكرت أن من أسباب ذلك نظرة المسلمين للعقل والإيمان، فالعقل عند المسيحيين غالبا مبعد ويتعارض مع الإيمان، -وقد أصاب هذا الداء المسلمين في مراحل ضعفهم- وهناك في ثقافتهم طريقان لا يلتقيان طريق العقل أو طريق الإيمان، أو طريق العلم يباين طريق الإيمان. حتى إن كلمة "الإيمان" عندهم في الإنجليزية توحي بهذا المعنى العميق، الذي يعرفه من عاش السياق الثقافي. فإن قال لك شخص بأنه يؤمن بشيء، فهذا يعني التسليم دون مساءلة. وتؤكد هذه العبارة معنى مهما -كثيرا ما رددته- وهو أن الكلمات في اللغات ملازمة للثقافة، إلى درجة يصعب تصور المعنى ونقله لثقافة أخرى، مهما شرح لك القاموس تلك المعاني. وهذه العقبات لا تحل مشكلتها ترجمة، وكلما استخدمت كلمة ذائعة في مجتمع فإنك تحمل معها كثيرا من لوازمها بلا وعي.

ولهذا فكلمة "إيمان" بمعناها الشرعي واللغوي، والتي تترجم للإنجليزية بكلمة "بيليف" تحمل في اللغة الإنجليزية معنى مثقلا بظلال سلبية في أذهان القراء والمستمعين، منها التصديق المجرد، ومنها عند المتأثرين وهم كثر بثقافة اليسار: "تصديق بلا حجة." ولهذا فلعل من المناسب أن تساق هذه الكلمة العربية وتعلم للمسلمين ولغيرهم كما هي، وكما قبلتها لغات كثيرة في العالم دون ترجمة؛ فها نحن نقول: كلمات من مثل: "أوكيه، وسندوتش" وملحقاتها، وها هم يقولون شيعة وسنة وحج وجهاد.

كما أن الكلمات أيضا تحمل معاني فلسفية وعقدية، فهي أيضا تحمل مواقف سياسية، واجتماعية، بل والملابس والأشكال ليست بريئة ولا مجردة من الأثقال الثقافية والبيئية والتاريخية. وقد

Twitter: @ketab_n

تحدثت مع جاري عن موضوع الوظيفة ومستقبل عمله في الجامعة، فقال: سوف تكون هناك مشكلة وهي طول شعري، فالجامعات كثير منها لن تقبل بأن يكون فيها من لديه شعر طويل كشعري، وكان ينسدل على منكبه وظهره شعر طويل ممشط، وملابسه قريبة من ملابس اليساريين في أمريكا. فلليساريين ملابس تعرف بها شخصياتهم، وهم يميلون إلى البساطة في اللباس، والبعد عن الرسميات، وعندما يكون لهم لقاء مهم فقد يصل بعضهم إلى درجة لبس ربطة العنق وهو قليل، ولكنه مع هذا غالبا لن يلبس حلة أو بدلة كاملة بسروال وكوت، من لون ونوع واحد. وكأن الاحتجاج والحرية عندهم لمست حتى نوع اللباس! وقليل من طائفة اليسار من يخرج عن حزبه في اللباس. وقد يكون في هذا انسجام مع أفكارهم. وأذكر مرة أنه أقيمت ندوتان كبيرتان في أعقاب حادثة ١١ من أيلول، فتحدث في الندوة الأولى أنصار الحكومة الفيدرالية، ورعاة موقفها، فكانت الأناقة والرسمية ظاهرة، والتكلف ثقيلا، ثم بعد ذلك بفترة يسيرة —وعلى المنبر نفسه— تحدث الأساتذة اليساريون، فكان فرق اللباس يلاحظ قبل فرق الكلام.

وكان من طريف ما قصه علي في أثناء الرحلة، أنه سكن مع طلاب وعائلات يهودية ملتزمة بالديانة اليهودية، فذكر لي العجب من الأغلال التي يلزمون بها أنفسهم، ويتجلى لك معنى ما أشار له القرآن من منة الله على المسلمين بما خفف عنهم من الآصار والأغلال التي ألزم بها اليهود أنفسهم، أو عوقبوا بها لسبب يليق بحالهم في زمن سابق، وكان أولى بهم أن ينتقلوا إلى ما خففت

Twitter: @ketab_n

به المسيحية عليهم، ثم ما حرر به الله الناس في الإسلام، بعد تجاوزهم تلك الأطوار. يقول محدثي: إن اليهودي الملتزم يجب أن يكون في بيته مطبخان، أحدهما للبن ومشتقاته، والآخر للحم ومشتقاته، ويحرم عليه استخدام الآنية نفسها التي يستخدمها لنوع في نوع آخر.

كما أن اليهودي في ليلة السبت ونهاره يحرم على نفسه تشغيل الأجهزة، واستخدام الكهرباء، فاليهودي أو اليهودية تعد مناديل الحمام قبل ليلة السبت، ويقطعونها ويرصونها، بحيث يستبقون حلول ليلة السبت إذ لو أداروا مناديل الحمام على البكرة لكان في هذا استخدام محرم عليهم، كما أنهم لا يجيزون إضاءة الكهرباء ولا إطفاءها في يوم السبت وليلته، حتى في بيوتهم، وكانوا يطمحون في زملائهم في السكن أن يقوموا بذلك، ويصعب عليهم طلب إطفاء النور؛ لأنهم بالطلب يكونون قد خرجوا على الأمر الديني بعدم العمل واستخدام الآلات يوم يسبتون. يقول وقد كان يستمتع بتعذيب زملائه في السكن من اليهود، بالعبث بالنور والكهرباء وقت تحريم استخدامها عليهم، فيطفئها وقت حاجتهم، ويشعلها يوم لا يصلح أن تكون مضاءة، وفي الحالين لن يستطيعوا تحريكها!! كما أنهم يفارقون نساءهم وقت العادة مفارقة غريبة، ويبتعدون عنهن بعدا مبالغا فيه، وفي كتاب "عودة الحياء" لشابة لعلها يهودية أعلت من شأن أثر العادات الدينية اليهودية في تماسك الأسرة، والمحبة بين الزوجين، فزعمت أنه في الأيام التي تحرم الديانة اليهودية على الرجل القرب من المنطقة التي فيها المرأة فإن المودة تزيد بينهما، وأن الزوج اليهودي يعترف بحبه

Twitter: @ketab_n

لزوجه، ويتصل بها هاتفيا من عمله في أيام دورتها التي تكون فيها مقصاة عنه، ومنفصلة انفصالا قاسيا، وقد لمست في الكتاب ما يجعل الفكرة تدعو للسخرية، كتلك التي أشار لها جاري في الرحلة الطويلة.

وصلت مساء ذلك اليوم في نهاية ديسمبر، ووجدت أن هناك مؤتمرا في منطقة مطار شيكاغو منطقة "روزمونت" والمؤتمر هو للمسلمين، لم ألحظ اختلافا كثيرا في الشكل عن المؤتمرات السابقة، إلا أن الملابس البيضاء وملابس الهند والباكستان للرجال، قد قل ظهورها، إن لم تكن اختفت، بخلاف السنين الماضية.

أما المسلمات فقد كن أصبر وأصمد على الحفاظ على الشعار الإسلامي "الحجاب". على الرغم من صعوبة الموقف، وصعوبة تميزهن في تلك الظروف. كما أن اللباس الشرعي للمرأة أكثر صونا، فكان لباسها أكثر تحديدا، ولا تتحايل المسلمة في لباسها كما تفعل المرأة اليهودية التي احتالت على تحريم كشف الشعر بحيلة الباروكة -أو الشعر المستعار- لتغطية الشعر الطبيعي، وهي الحيلة نفسها التي أشار إليها الرسول صلى الله عليه وسلم من أنهم لما حرم الله عليهم الشحم جملوه - أي حمسوه- فباعوه. ومن طريف قصص اليهوديات مع الباروكة، -وقد كن من أكثر المروجات والمستخدمات لها- ؛ أن يهوديات أمريكا استوردن شعرا نسائيا طبيعيا من الهند، مصفوفا بحسب الطلب، وشاع استخدامه بينهن في مدينة نيويورك وغيرها، واستحسنه، لقربه من الشعر الطبيعي، ولكن أحد الحاخامات أصدر فتوى

Twitter: @ketab_n

بتحريم لبس شعر الهنديات؛ لأن الهندية وثنية، وقد يكون الشعر سجد به لصنم هندوكي عندما كان على رأس صاحبته الأصلية التي قصته وباعته لليهوديات!!

وقد عالجت الصحافة الأمريكية العامة القصة، وأجرت مقابلات، وحكت قصص اليهوديات اللاتي خسرن آلاف الدولارات في ذلك النوع من الشعر الذي صدرت الفتوى بتحريمه.

وما يخفى على كثير من الناس مسلمين وغيرهم هو دور المسلمات في نشر الإسلام والإقناع به، ودور النساء في قبوله، فالنساء والسود هما الطائفتان المستضعفتان والأكثر إقبالا على الإسلام من غيرهم. وعاطفتهن قوية في المناصرة والرحمة، ولا أنسى أنه في الأسبوع الثاني أو الثالث بعد الحادثة، نظم الطالبات غير المسلمات في جامعة ميتشجن يوما للتضامن مع المحجبات، وتحجبت نساء كثيرات من غير المسلمات مناصرة، وتأييدا للمسلمات، ولحقهن في ممارسة شعائر دينهن والقبول بحرية المرأة المسلمة في ارتداء الحجاب. كان ذلك في أيام عصيبة هائجة.

والحجاب هناك هو الحجاب المجمع عليه، أي غطاء الشعر، واللباس الفضفاض، الذي لا يصف ولا يشف، جلابيب من شتى الأنواع والألوان تجلب من تركيا وبلاد المشرق العربي والهند، أو لبعضهن سراويل واسعة وقمصان قد تصل إلى ما فوق الركبة محتشمة، أما مسألة غطاء الوجه والنقاب فهو نادر جدا، وقد يكون – في بلاد نائية وغريبة جدا عن ثقافة الإسلام– أشبه بلباس شهرة وإثارة لمن يستغرب، علما أن غطاء الوجه كاملا والنقاب

Twitter: @ketab_n

أيضا موجودان، بل وفي أكثر الجامعات ليبرالية، بل وفي بعض الكليات الصغيرة.

سألني كثيرون هل قصص إقبال الناس على الإسلام صحيحة بعد أحداث سبتمبر؟ والذي لاحظته أنه صحيح، فقد حدث إقبال كبير على الإسلام إثر تلك الأحداث، فقد نبهتهم الصدمة للتعرف على الإسلام مصدر الخطر، أو الرعب كما هوّل لهم الموقف، فأقبل عدد واسع من الذين ليس لهم موقف مسبق شديد العداوة للإسلام على معرفته فتأثروا به، ولأن هناك قاعدة علمانية صلبة في المجتمع الغربي، ساعدت كثيرا على الانفتاح والتعرف على الإسلام وغيره من الديانات. وكانت الكتب المنصفة أو شبه المنصفة للإسلام قليلة للأسف، ولكن مع ذلك فقد كانت هذه القلة مؤثرة وأفادت الناس. وقد قابلت بعض هؤلاء الذين أسلموا وبعضهم كانت لديه مقدمات تعرف على الإسلام، من قبل الأحداث، وصداقات أو بحث عن الإسلام، فلما شاهدوا الموقف غير المعقول في المواجهة للمسلمين وقفوا وقفة وعي وضمير. ومنهم أقوام صادقون في حرية تفكيرهم، لا يأبهون بالمخالفة، وآخرون ناقدون للرؤية النصرانية المتعصبة -لدى بعض الفرق النافذة في الكنيسة والسياسة- وارتباط تلك الفرق النصرانية باليهود الظالمين الذين انتهكوا حرمات المسيحية، وفي المقابلة التي نشرتها مجلة نيوزويك مع الصحفية التي اعتقلها طالبان ثم أفرجوا عنها، وكان قد دعاها أحد قيادات طالبان للإسلام فوعدت بدراسة الإسلام، تقول في المقابلة: إنها أسلمت يوم رأت الإسرائيليين بقيادة

Twitter: @ketab_n

شارون يدمرون كنيسة المهد ولا يتحرك أحد في الغرب النصراني يدافع عن حرمات أقدس مقدسات المسيحية.

فقد حدثت موجة كبيرة وصحيحة في الإقبال على الإسلام، يصعب إعطاء أرقام دقيقة بذلك، ومما يستحق الإشارة هنا أنه لم تكن للمسلمين كتب مناسبة ولا معلقون ولا منشورات تتناسب مع الحدث، لقد كنا أشبه بالمقيد الأبكم تجاه ما كان يحدث؛ فقد كان المسلمون يغلون ضيقا وغضبا مما يلقى عليهم من تهم وشكوك وريبة وتشويه، ولا يجدون في بلاد الحرية طريقا للتعبير عما يعانون من كبت وتشهير بهم!!

وممن حمل جرم ذلك محطة "فوكس نيوز"، من خلال مذيعها المضجر "أورالي" والمحطة يملكها التاجر اليهودي الأسترالي مردوخ، وقد كان لهذه المحطة في تلك الأحداث وما تلاها دور مهم في التهييج على المسلمين، وهي صانع رئيس للفكرة العامة التي تهجو الإسلام والمسلمين وتستضيف الهجّائين في برامجها بكثرة.

أما المؤسسات الإسلامية –فضلا عن العربية– فقد كانت تبحث عن كتّاب ومتحدثين معلقين على ما كان يدور، ونادرا ما كانت تجد، ومن وجدتهم لم يسمح لهم بالحديث. وبعض الذين تحدثوا استفزهم المعلقون المنحازون الساخطون، والمرتبطون بمصالح محددة، أو نقل كلامهم في غير سياقه. وكانت للكثيرين تجارب مرة مع ذلك الإعلام.

كما أن نصارى العرب كان لهم دور مشكور في التعريف بقضايا المسلمين، والتخفيف من الضغوط الدينية المتعصبة

Twitter: @ketab_n

للنصارى المتصهينين من بين البروتستانت، الذين ساقهم الضغط والإعلام اليهوديان والتضليل الديني، ليقفوا بشدة مع التطرف الصهيوني، فضروا بدينهم وبمصالحهم، وجعلوا الكثير من السياسة الأمريكية صدى للتطرف الصهيوني، وصنعوا بكفاءة عداء بين الإسلام وأمريكا، تقع خسارته على العرب وعلى الشعب الأمريكي، ويفر الصهاينة بالغنيمة، ويبقى للمتعصبين من النصارى المزيد من الحقد، والكراهية في العالم، وعدم الثقة، وتبعية القرار!!

ونستعيد سياق الرحلة، خرجت من المطار وقابلت بعض الأصدقاء عند باب الفندق، ثم ذهبت مباشرة لقاعة السوق في المؤتمر، ملتقى الناس، وفرحت بأن وجدت أن المسلمين أمكنهم الاجتماع بعدد كبير بالرغم من مرور هذه الأحداث المخيفة. ورأيت الكتب على الرفوف باللغات العربية والإنجليزية والأردية، وليس في العربية جديد إلا ما ينشره معهد الفكر الإسلامي في واشنطن، ولهم إنتاج وكتب مفيدة ومغرية بالشراء في كل زيارة، فهم المركز الوحيد في الغرب كله الذي تتوقع منه كتبا بالعربية ذات أهمية. وقد تخالفها أحيانا ولكنك لا يمكن أن تتجاهل أهميتها.

وقد وجدت كتابًا سمعت عنه من قبل ولم أجده عن منهج القرآن السياسي في العهد المكي، وقد دار حوله جدل سابق على صفحات مجلة المعهد "إسلامية المعرفة". ثم وجدت كتيبا لعبد الحميد أبي سليمان عن ضرب المرأة، وسبق أن أثار جدلا وقرأت رد الشيخ صالح الحصين عليه. ورأيت طائفة من الكتب التي خرجت في أعقاب أحداث أيلول "سبتمبر"، وكنت متوقعا ذلك، ومن هؤلاء

Twitter: @ketab_n

الكتاب من أعرف رأيهم مسبقا فلم أعرج على كتبهم ولم أشترها، واشتريت ثلاثة أو نحوها من الكتب الجديدة بأقلام مسلمين ومن هذه الكتب كتاب لمقتدر خان.

وقد كنت قرأت له قبل فترة مقالا عن الموضوع في مجلة "الشؤون الدولية"، ثم رأيت الكتاب كاملا، وقد وقعت في لحظات تصفح الكتاب الأولى على موضوع مهم يتكرر الحديث عنه كل يوم في أمريكا بين المثقفين المسلمين، ومن يهتم بشأنهم من غيرهم. وهو موضوع ولاء المسلمين هل يكون لأمريكا أم للإسلام، ويتساءل المؤلف بوضوح هل المسلمون في أمريكا "مسلمون أمريكيون أم أمريكيون مسلمون؟" بمعنى هل هم مسلمون أولا ثم أمريكيون ثانيا أم العكس وهو أنهم أمريكيون أولا ثم مسلمون ثانيا. ومعنى هذا أن عليهم أن يقدموا قضايا الإسلام وموقفه ومصالحه بحسب التسمية الأولى، والعكس في الثانية، أي يقدموا موضوع كونهم أمريكيين أولا ثم تأتي مسألة أنهم مسلمون ثانيا.

وهذه عقدة وتحد كبير لم يخطر ببال الكثيرين أن تصبح بهذه الأهمية والصرامة في الوقت الحاضر، والذين يعيشون في خارج أمريكا كثيرا ما يتهاونون بالأمر ويعطون جوابا نهائيا سريعا لأحد الطرفين دون تفكير يتناسب مع الوضع الصعب للجالية.

يتجه أغلب المسلمين إلى حسم الموقف بحسب الرأي الثاني "أي أنهم أمريكيون أولا، ثم مسلمون ثانيا" وعلى هذا فعندما تتعارض

Twitter: @ketab_n

مصالح أمريكا مع مصالح الإسلام أو المسلمين فإنهم يقدمون مصالح أمريكا الدولة على مصالح الإسلام والمسلمين. وقد حددت كلمة "الدولة" هنا؛ لأن الوقوف مع قضايا الإسلام قد يكون في صالح الشعب الأمريكي، وإن خالف هوى المتنفذين في الحكومة الذين قد يضرون بلادهم بسبب ارتهان مواقفهم لجماعات الضغط الصهيونية التي تصنع سياسة معادية للعرب وللمسلمين وقوانين ضد المواطنين الأمريكيين.

وهناك طبقة واعية من الشعب الأمريكي هم من سمعت منهم وصف الكونجرس بأنه "الكنيست الحقيقي"، أي البرلمان الصهيوني، وأنه أكثر تصهينا من الكنيست الصهيوني في تل أبيب، بل تسمع نقدا للسياسة الصهيونية في الكنيست ولا يجرؤ رجال الكونجرس على ممارسة شيء من ذلك الحق، في نقد من يسخر بلادهم ومصالحهم للأجانب، بالرغم من الابتزاز الصهيوني للمال الأمريكي، والتصرف في مصير القرار السياسي للشعب الأمريكي.

ومعاناة المسلمين السياسية في أمريكا هي بخلاف حال الجالية الصهيونية في أمريكا، وخاصة الذين لهم دور في توجيه الحكومة الأمريكية، فهم إسرائيليون أولا، ثم أمريكيون ثانيا، ومع كونهم يديرون الكثير من قرارات الجيش والخارجية الأمريكية، فعندما يحدث تعارض –وكثيرا ما يحدث– فإنهم يوجهون أمريكا لمصلحة إسرائيل، ويوهمون الأمريكان باتحاد المصالح، ويورطون الشعب الأمريكي والحكومة الأمريكية في

Twitter: @ketab_n

موقف إسرائيلي يصبح قرارا أمريكيا، مهما جشّم أمريكا من مصائب، ووضع مصالحها في خطر، وجلب عليها حنق العالم.

آريل فلايتشر أول متحدث باسم الرئيس بوش الابن في البيت الأبيض صهيوني متدين يحمل الجنسية الإسرائيلية، والغريب أنهم لا يتهمونه في ولائه، مع أن رجلاً من رجال الكونجرس اسمه "عيسى" يوحي بأصل عربي منع من السفر في رحلة متجهة لفرنسا وميز عن رجال الكونجرس في موقف عنصري بشع.

صعوبة الموقف أن في داخل أمريكا –في واقع الأمر– حركة دائبة من بعض المنفعلين والمتطرفين من اليهود ومن ناصرهم، وصوت عال ضد العرب والمسلمين في أمريكا وفي العالم، وأن الحرب "ضد الإرهاب" قد فهمت هكذا حرب على الإسلام والمسلمين بلا هوادة. فما الحق وماالباطل؟ وما الحل فهل يقف المسلمون مع حكومتهم الأمريكية أم مع دينهم في حال المواجهة بين الإسلام والحكومة الأمريكية؟ ويزيد الأمر حرجا كون كثير من المسلمين مهاجرين بأنفسهم وليسوا بعيدي العهد بالهجرة، فليس الحديث هنا عن الجيل الثاني والثالث. بل عن الجيل الأول، ويبدو أنه هو الذي يعاني في مسألة الولاء لدينه وأمته، وكثير ممن ولدوا في أمريكا لا يبالون بالموضوع، ولا بالهجرة وقصتها فلم يعيشوها إلا من خلال آباء ارتكزت قلوبهم ومشاعرهم خارج هذه الأرض. وليس لهم عمق فيها، كما يختصرون اسم المهاجرين بحروف ثلاثة هي الحروف الاولى لكلمة "طازج من القارب" أي وافد جديد من البحر لأمريكا لا يعرفها،

Twitter: @ketab_n

ولا يفهم طريقة الحياة فيها، وهي عبارة تستغرب سلوك الشخص وتبحث له عن عذر. وهو الغربة في أرض جديدة.

وقد دار حديث عارض مع طفل من أطفال المهاجرين من النوع الحريص المرتبط بالإسلام وبلاده وقضاياه، وأشرت للطفل بلا قصد أنه أمريكي، فقال لي الطفل: لست أمريكيا. فقلت: ماذا تعني بأنك لست أمريكيا؟ قال: «أنا مسلم». فماذا تعني كلمة أمريكي عنده؟ إنها ليست الجنسية ولا اللغة، كما لا تعني الجنس، فالأمريكان هناك من كل جنس وليس الجنس الأنجلوسكسوني. وهي تعني عنده أنه مختلف عن الغالبية المسيحية، إنه مسلم.

ومثل هذا الطفل قد حسم السؤال السابق، بتقديم إسلامه على هويته الجديدة، وربما فقط في طفولته، قبل معترك السياسة وصعوبات تحديد الولاء، وهناك سبب غائر في نفوس المسلمين وهو حرص الأمريكيين إعلاميا على الأقل على أن يستبعدوا الهوية الإسلامية من تركيبة المجتمع الأمريكي، مع أن الحقائق كلها تؤيد مكانة حق المسلم ودوره تاريخيا وحاضرا في الوجود الأمريكي، فقد سبقوا غيرهم إلى هذه القارة!

وأعود لذكر هذه المدينة "شيكاغو" —وشيكاغو كلمة من كلمات الهنود الحمر قيل تعني: بصلة لشهرتها قديما في زراعة البصل— التي يزيد سكانها وسكان ضواحيها القريبة عن ثمانية ملايين، وفيها ثمانية وخمسون مصلى ومسجدا عام ٢٠٠٠م. وليس بالسهل على المسافر أن يجد المسجد قريبا بل بينها مسافات

Twitter: @ketab_n

واسعة، وفي المدينة مربعات أو أحياء خاصة لكل جنس ولغة ولون من السكان، فهناك حي العرب، وحي الأسبان، وأحياء السود، وأحياء البيض. ومناطق للفقراء ومناطق للأغنياء.



Twitter: @ketab_n

الكتب

أول الأماكن التي أهتم بها في مثل هذه الرحلة أسواق الكتب، وكنت أتوقع أن كتب السياسة والمواجهة هي الكتب الأولى في السوق، ولكني وجدت خلاف ذلك، فقد أصبح عند الناس مزاج من الكراهية لهذا النوع المكرر الكريه من الكتب، التي تتحدث كثيرا عن الحرب والمواجهة والخوف، ورأيت كثيرا من الروايات كالعادة، منها مؤلفات "بلداكي" ونحوها تتقدم الكتب المعروضة، وتأخرت روايات كلانسي -كاتب عسكري أمريكي- وكاريه -بريطاني- التي تهتم كثيرا بالحرب والجاسوسية، ليتصدر غيرها.

وعلى الرغم من قصر الوقت وانشغالي فإني تابعت الكاتب الشهير مايكل كريشتون، مؤلف رواية "الحديقة الجوراسية" وروايات غيرها كثير. وقد ترك الطب ليمارس الكتابة، فقد شاهدت جزءا من مقابلة له، ذكر فيها المقدم أن أغلب كتبه من الكتب الأحسن بيعا، وترجمت لأكثر من ثلاثين لغة، وطبع منها أكثر من عشرين مليون نسخة.

أما روايات ستيفن كينج المرعبة فلم تزل موجودة على الرفوف وإن كانت أقل من ذي قبل، وهذا الكاتب رغم شهرة كتبه ورعبها وكثرتها، إلا أنني أراه مثالا للشخص التافه الموهوب، وقد رأيت مقابلتين طويلتين معه، لم تزدني إلا قناعة بأن

Twitter: @ketab_n

الموهوب في فن قد يكون صغيرا جدا في حياته وفكره. وهذه المهارة في الخيال والترويع قد تكون على خلاف الحقيقة الشخصية.

كما أنك كثيرا ما تتعرف إلى رجال كبار ليس لهم في سوق الشهرة مكان، وعقولهم ومهاراتهم أكبر من أسمائهم. وبسبب جوانب شخصية أخرى ربما يرونها حسنة وذات قيمة يبتعدون عن الأضواء، أو يتواضعون أكثر مما يليق بهم، فلا يعرف عنهم كثير من الناس بالرغم من قدراتهم الفذة.

أحد هؤلاء لا يكتب لأنه يرى أن الكتابة يجب أن تكون فقط في الجديد من المعرفة والفهم، وما عداها فلا يستحق الكتابة والبحث، وليس الواقع كذلك عند أي أمة، فلو طبق هذا الشرط لزال من السوق تسعة أعشار ما تراه من الأعمال المكتوبة إن لم يكن أكثر. والذي يحدث أن هؤلاء يموتون ولا يتركون فرصة لمعرفة دورهم وأفكارهم ولا نشرها، هؤلاء موجودون بين المسلمين، وفي الغرب رأيت قلة من هذا النوع، ولا أشك أنهم كثيرون، ولكن أكثر منهم من يكتبون وينشرون بلا علم ولا معرفة. وحجة الفئة هذه متقاربة في كل أمة.

ولاحظت أنه صدر لبعض اليهود الكثير من كتبهم الترويجية المعتادة، تلك الكتب المحذرة والمنفرة والمجندة للعداوة ضد الإسلام والعرب، فنشر فريدمان مقالاته في كتاب خطوط الطول والعرض، ولم يحصل على الرواج والأهمية التي كان يتوقعها الكاتب. ونشر دانيال بايبس كتابه عن الإسلام. والتنفير منه،

Twitter: @ketab_n

وهي شنشنة نعرفها من أخزم، كررها ببرودة وبذاءة وترديد ثقيل مستغلا الموجة ماليا وسياسيا لمصلحة إسرائيل، مع أنه يحاول إمعانا في التظاهر بالوطنية والبعد عن تمثيل الوجه الصهيوني في أمريكا بأن يسكت عن إسرائيل.

وقبل العدد الأخير –آنذاك– من مجلة "الشئون الخارجية" الأمريكية نشر مقال في المجلة بعنوان: جذور العداء لثقافة أمريكا لبيري روبن، –وهو على نهج شيخه برنارد لويس، الذي نشر محاضرته الشهيرة عن جذور الغضب الإسلامي وبوصايا مشابهة وعنوان مشترك يكرر الدعاية الإسرائيلية– ثم قرأت تعقيبا جميلا عليه في العدد التالي، واستغربت أن تنشر المجلة ذلك الرد، وكان الرد صريحا في نقد المقالة وتسخير أمريكا وإعلامها وموقفها للجماعة الصهيونية. وقد ترجم المقال أيضا للعربية، وحذف بعضه لا أعرف سبب الحذف في الترجمة العربية على الرغم من أهميته. فهو مقطع يتحدث عن جذور العداء والاختلافات بين المسلمين وجيرانهم، وينصح الكاتب باثارة هذه العداوات، بين العرب والكرد، وبين الفرس والأكراد، وبين العرب والهنود، وبين الهنود والباكستانيين، وبين العرب والأفارقة، وبين العرب والأتراك، وهكذا في سياق غريب ومؤثر. يحصي العداءات ويدعو لتحريكها، وقد تم له الكثير مما طلب منذ نشر مقالته.

والكتب في أمريكا والمكتبات من مهاوي القلوب، وهذا الجانب عندي من أكبر مميزاتها على غيرها، وفيها من الكتب ما لذ وطاب، وما يثير النكد والسخط والحزن الكبير، وبخاصة بعد هذه الملمة الكبيرة، فقد طفت على رفوف المكتبات كميات

Twitter: @ketab_n

كبيرة من الكتب والكتيبات والمقالات والمجلات كلها مليئة بالتحريض على العرب، وبما يملأ القلب نكدا، وكراهة لهذا الغث الكثير من الزيف والتزوير والعداء للإسلام والمسلمين، وتصوير الدين والناس وكأنهم وحوش جاءوا من أقصى العالم وبأغرب الثقافات، ورأيت كثيرا من المسلمين وهم يرون في نظرات الناس توحشا وتوجسا، وكأن كل عين ترمقهم تحمل لهم الكراهة والعداء، وكثير من ذلك وهم بلا دليل، وبعض ذلك صحيح.

وهناك موجة من الكتب عن العراق، كتبت بأيدي أقلام جواسيس سابقين، ومحللين وصحفيين وراغبين في الإتجار والفوز بربح كبير كالذي حصل لـ"أحمد رشيد" مراسل جريدة الجارديان البريطانية، من ريع كتابه "طالبان"، فقد كانت ضربة حظ أن حصل التفجير والحرب والكتاب معروض في الأسواق. فربح فوق ما كان يتوقع. وأصبح به غنيا، وكتب من بعد ذلك كتابا ضعيفا عن الجهاد والإسلام في وسط آسيا، ولم يوفق في المعلومات ولا في الأفكار. وقد غره الربح السابق هذه المرة.

ومن الكتب التي أهديت لي على شكل سي دي مسجل كاملا كتاب: "جورج بوش في الحرب" لبوب وود وورد، أهداه لي الدكتور الشنقيطي وهو صديق كتبيّ. واقتنيت من الكتب التي سبق لها أن عرضت في السوق منذ فترة كتاب كارتر عن حياته المبكرة في الريف: " ساعة قبل الشروق" وقرأت منه أثناء السفر قسما ممتعا. وعلى غلافه ثناء كبير من قبل قرائه.

Twitter: @ketab_n

وقد يكون مناسبا أن أوضح لقارئ هذا النص أن كثيرا من الكتب التي أهتم بها أو أقرأها إنما أنطلق في بدء الإهتمام بها من أكثر من سبب؛ من ذلك موضوعها، ومكانة كاتبها، والتقدير الذي حظي به الكتاب من قبل قراء ومراجعات في مجلات وجرائد.

وفي أثناء هذه الزيارة دار نقاش على عشاء في بيت صديق حول نقد أحدهم لأمريكا بأنها بلد لا حضارة له ولا تاريخ له، فقلت له: وما هي الحضارة التي تريدها؟ قال: في العالم العربي والإسلامي كيت وكيت من القرون والحضارة، وبدا لي معجبا مندمجا في هذه الحضارة والقرون الغابرة، مستعيدا الزمان كله، قلت: وهل تريد من الحضارة أكثر مما تشاهد؟ من جوانب متعة العين والأذن والبصر؟ وهل الحضارة هي أن تشعر أنك ممتد في الزمان بلا نهاية وإن لم تكن فعلا قطعة من هذا السياق الزمني، أم أنك ترى الحضارة هي فقط التاريخ الطويل ولو لم يكن متماسكا ولا حيا مؤثرا في حاضرك! فحضارتنا العربية الإسلامية مجيدة في الماضي منقطعة أحيانا وغير متوازنة أحياناً أخرى.

إن الحضارة الغربية تقول وتفعل، وتفكر وتنفذ، وحضارتنا نرى الكثير من جوانبها متوقفا. وبخاصة في جوانبها الفكرية والعملية. وأقر أنها أحسن حالا عما سبق من قرون.

ومن محطات الثقافة الأمريكية المهمة التي تستوقف المتابع جريدة "نيويورك تايمز"، اشتريتها يوم الأحد صباحا، وهو يوم الإجازة وبقيت معها إلى نحو الظهر، وقصصت بعض الصفحات مما يهم حفظه، أو قراءته في وقت لاحق، ومن ملاحق الجريدة

Twitter: @ketab_n

الضخمة ملحقها الأسبوعي عن الكتب، وقرأت فيه مراجعة طريفة لكتاب يلخص يوميات قائد من أهم بناة سلاح البحرية البريطانية في القرن التاسع عشر، فقد كان هذا الشخص يسجل يومياته، كل يوم لمدة تزيد عن عشر سنوات، وكانت هذه اليوميات من أهم مصادر التاريخ الإجتماعي والعسكري، وعلاقات القصر في زمانه، وحياته في بيته حتى منها ما يكون خاصا وليس للنشر في عرف الناس آنذاك ومن بعد. وبعد قراءة المقال وجدت بعد يومين تقريبا مجلدا محققا من المذكرات معروضا للبيع، بثمن بخس، ولكن من خلال العرض تبين لي أنه قد لا يكون مفيدا، والمسافر في مثل هذه الظروف يقدر أمورا عديدة منها الوزن ومشقة النقل، فتبقى الأولوية بحسب الحاجة والنوع.

وفي مدينة آن آربر التي ألفت طرقها ومكاتبها، زرت أربع مكتبات من خمس اعتدت زيارتها كثيرا، حيث أجد الكتاب المهم القديم وقد كُسرت سورة سعره، والكتاب الجديد الذي لا تقاوم جاذبيته، وبحثت عن كتاب صدر منذ نحو خمس سنوات مرتين ولم أجده، وهو يتحدث عن تكوين "الجماعات المتخيلة". ووجدت أيضا كتيبات مهمة بعضها جديدة، أحد هذه الكتب كان عن موضوع تطور المسيحية الغربية، يناقش فيه المؤلف موضوع أن النصرانية الغربية مشبعة بثقافة أوروبا الوثنية قبل قدوم النصرانية، وأصبحت النصرانية الغربية بذلك وجها للثقافة الغربية الأوربية السابقة على المسيحية وكثير منها ليس من تراث المسيحية، الذي يصدق عليه وصف مسيحي أو نصراني.

Twitter: @ketab_n

وهو موضوع طريف ناقشه عديدون، وكان أول من قرأت له إشارت لهذا الموضوع الطريف في كتاب الأبطال، عندما تحدث عن وثنية أوروبا القديمة، ولم تعد تلك الإشارة ذات قيمة بعد تكاثف البحوث في الموضوع.

ورأيت مؤلفاً طريفاً آخر، وهو تاريخ مجمل للفكر الغربي في القرن العشرين، وحجمه مما ينوء به الساعد، وآخر هو خلاصات لمقابلات المؤرخين على محطة "سي سبان"، وقد كنت تابعت بعض تلك الحلقات المهمة. والكتاب عن التاريخ الأمريكي غالبا، وقليل ما عداه.

واقتنيت كتابا آخر سماه مؤلفه بـ: "ما وراء الإرهاب"، والمؤلف عسكري سابق تقاعد من عمله عام ١٩٩٨ كما يقول على غلاف كتابه ليستطيع التعبير عن رأيه بحرية، وعلى غلاف الكتاب شهادات كثيرة بمكانته الكتابية، وهذه فيها ألاعيب كثيرة على أغلفة الكتب ومدح يكون أحيانا مورطا للقارئ، ويغريه بشراء ما لا يستحق.

وفي كتاب "ما وراء الإرهاب" يخطب المؤلف متوعدا بشر مستمر مستطير لجميع الذين فرحوا أو سرهم ما حدث في نيويورك، ويتوعدهم في بدء الكتاب بدوام التدمير، وفي منتهاه يسخر بشدة ويلوم هؤلاء المثقفين الذين تحدث أمامهم، ويذكرونه بالخمير الحمر، -ملمحا لليسار في الجامعات- هؤلاء المثقفين المحاربين على هوامش البحوث ودفاتر الملاحظات وينتقدون، في الوقت الذي يقوم الرجال بالدفاع عن البلاد، تلك العقول المدرعة

Twitter: @ketab_n

ضد الاهتمامات اليومية للناس -بفضل توسع الثراء- جعلت هذه العقول أخطر من أسلحة الدمار الشامل، ويسخر بالنظريات التي قتلت أكثر مما قتلت أسلحة الدمار الشامل. وعنده أن الرجل الذي يفكر كثيرا، يعيش بعيدا وصغيرا جدا. ولأن هناك حديث طويل يدور في الجامعات، وهي معقل الاحتجاج على تصرفات الحكومة، ولم تزل الجامعات -الليبرالية خاصة وطائفة من أساتذتها- متهمة بالتعاطف مع خصوم أمريكا، اليساريين في العالم. وهو يرى في نتائج الأحداث إيجابية ومصلحة غير مقصودة، والنتائج المفيدة غير المقصودة مما يحبه التاريخ. ويرى أن هذه الفرصة التي سنحت للقوات الأمريكية يندر أن يمن الزمان بمثلها.

ومن الكتب التي سمعت عنها ورأيتها وتجنبتها فترة كتاب "هم.. مغامرات مع الأصوليين" لـ جون رونسون" عن شخصيات وجمعيات سرية حول العالم، تمثل خطرا وقوة عليه وضده. يبدأ الكتاب بفصل طريف عن عمر بكري، المقيم في لندن، والذي يسمي نفسه بالمهرج -بعد رعب الأحداث والخوف من أن يطرد- ويطلب المساعدة من الصحفي اليهودي "المؤلف" ويقول له عن نفسه: "إنك تعلم أنني مهرج، وحقا ليس لي قوة ولا أثر كما أدعي". وكانت هذه القصص الحقيقية والمختلقة عن الجماعات السرية الإسلامية موضة طريفة للصحافة الغربية يختلط فيها الخيال بالرعب والكذب. وصناعة شخصيات مهمة لم تكن أبدا مهمة عند نفسها قبل الناس. وهذا الكتاب يذهب لحوادث وأشخاص وظواهر جزئية صغيرة، وينفخ فيها بشكل موح وذكي لتعطي كتابه أهمية وقد بيع من الكتاب فوق ما تخيل هذا الشاب

Twitter: @ketab_n

المغامر. والفصلان الأولان اللذان قرأتهما إلى ساعة كتابة هذه السطور ليس فيها من الحقيقة فيما أرى ما يستحق الاهتمام. وهو يستكمل بمغامرات مع مسيحيين ويهود وليبراليين وغيرهم. ويصلح لقارئ يحب أن يرتاح من القراءة، ولست أدري أين تقف الحقيقة من هذه الأساطير، ولم ينل الكتاب بعد فترة ما يجعله ذا أهمية.

والكتاب الآخر عن "الإعصار المهدد"، والذي كتبه موظف سابق في السي آي آيه، ويتنفج الكاتب بكثير من القول أنه هو من أول من حذر أمريكا من طموحات العراق، وأن تقريره الذي حذر فيه الحكومة لم يصل الرئيس بوش الأب إلا نهار أو ليلة الغزو العراقي للكويت. وهو كتاب في التبرير والتخطيط. وهذه المعلومات من الوقوف عند مقدمة الكتاب واستعراض بعض صفحاته.

وعادة ما تكون هناك أسواق للكتب رخيصة الأسعار، والكتاب عادة ينزل للسوق في طبعة مجلدة، من نوع الغلاف السميك، وسعر الكتاب الذي يزيد عن ثلاثمائة صفحة يكون قرابة الثلاثين دولارا في المتوسط، وهذه الطبعة الأولى حاسمة في مصير الكتاب، إلا أن يفوز الكتاب بجائزة مثل جائزة "بوليتزر". وقد يكون الكتاب ذا أهمية تاريخية أو أسطورية أو حربية ويجلب نظر صانعي الأفلام فيشترون حق انتاج الفيلم، ويحبسونه لهم، وقد لا ينتجوه. وهنا يستفيد الكاتب والناشر من البيع لحق التأليف، وإن أصبح الفيلم ذا شأن كان الشأن للكتاب مهما، وعائداته خيالية.

Twitter: @ketab_n

ثم يتبع هذه الطبعة الأولى المجلدة طبعة شعبية بعد قرابة السنة، وتكون على نحو من نصف السعر، وإن كان الكتاب مشهورا فإنه أيضا يخرج بطبعة ذات حروف كبيرة لكبار السن، وطبعة أخرى في حجم الجيب، وتكون أرخص من الطبعة ذات الغلاف الورقي المعتاد. ونسخة أخرى على أشرطة كاسيت وأخرى على سي دي، وبعض دور النشر تجعل الكتاب أيضا على شكل نص يباع على الإنترنت فيما أصبح يسمى بـ "الكتاب الإليكتروني". ومستخرجات عديدة الأنواع، وتباع كل هذه الكتب بنحو يقل عن نصف سعر كل منها في مواقع مخفضة السعر مثل موقع: "نصف السعر" على الإنترنت، وعادة يكون أقل من نصف السعر، وقد يبلغ أحيانا عشر السعر.

ولطالما كنت أبحث عن كتاب كيرمت روزفلت عن "الثورة والثورة المضادة" والتي سجل فيها الكاتب قصة ثورة مصدق في إيران عام ١٩٥٣م[٤]، والثورة المضادة التي صنعتها السي آي آيه بقيادة روزفلت ضابط المخابرات -المؤلف نفسه-، ولم أجد الكتاب لزمن طويل، ثم وجدته مرة على الإنترنت بثمن غال جدا، وفي إحدى الليالي وأنا أتحدث مع الأستاذ سامي الحصين، مبديا له رغبتي في الكتاب، إذا هو يقول وما رأيك في أنني أراه أمامي على الإنترنت معروضا بدولارين وهذه النسخة موقعة من المؤلف نفسه،

(١) بعد هذا الكتاب المهم خرجت دراسة طريفة بعنوان "كل رجال الشاة، انقلاب أمريكي وجذور الإرهاب في الشرق الأوسط" كتبه ستيفن كينزر، صدر عن دار نشر وايلي في أمريكا، طبع مرتان أولاهما في عام ٢٠٠٣م.

Twitter: @ketab_n

لم أكد أصدق ما أسمع حتى وصلني الكتاب بعد يومين بدولارين!!

وفي أحيان نادرة في وقت التخفيضات الكبيرة يصل الأمر إلى بيع الكتب بالقدم أو بملء الكيس البلاستيكي المعتاد في الشراء من البقالات، فالقدم من الكتب يباع أحياناً بدولار أو دولارين، وهذا في وقت بيع المكتبات العامة لمقتنياتها، التي تزيد عن حاجتها أو تكون مكررة، أو قديمة. وكثيرا ما حضرنا هذه المناسبات التي تبيع فيها المكتبات مقتنياتها المكررة وخاصة من الكتب العربية في مكتبة الجامعة في آن آربر، فالمجلد يصبح سعره دولاراً واحداً والكتاب ذو الغلاف الورقي يباع بنصف دولار.

وفي الجامعات غنى ظاهر من المقتنيات فمكتبة الدراسات العليا في جامعة ميتشجن ناقشت أو وافقت على وضع سبعة ملايين كتاب على البرنامج الجديد الذي تقدمه شركة جوجل للبحث، وجامعة هارفرد تناقش معهم وضع نحوٍ من خمسة عشر مليون كتاب من مقتنايتها على البرنامج المذكور.

وبعض الكتب الأكاديمية التي تهم المدرسين في الجامعات يطبع منها نسخ خاصة بالمراجعين للكتاب والمقيّمين له. حيث يقوم الناشرون بإرسال نسخ منه لهؤلاء المراجعين، فمنهم من يطلب منه التقييم ومنهم من يرسل له مجرد نسخة مجانية أو مخفضة لعله يقررها على طلابه، أو يكتب مراجعة للكتاب، فتجد بعض المدرسين وبخاصة في العلوم الإنسانية يضع الكتب المجانية لطلاب الدراسات العليا عند باب مكتبه، أو عند باب مكتب القسم،

Twitter: @ketab_n

ليأخذها من أراد، وعادة ما تكون هذه الطبعة محدودة ويكتب عليها "ليس للبيع" أو: "نسخة للمراجعة". ثم يطبعون نسخة نهائية أخرى.

وعدد العناوين الجديدة سنويا في أمريكا يزيد عن واحد وخمسين ألف عنوان، والغريب أنها أقل من عدد المنشورات في بريطانيا، ولكن الكمية في أمريكا لا تقارن حجما مع سوق بريطانيا. وهناك مكتبات تبيع الكتب العامة، وأخر تبيع الكتب الدينية، وأخر تتخصص في كتب التجارة، والطب ونحو ذلك. والأصل هو المكتبة التي تبيع الكتب الأكثر تداولا؛ ولهذا فلا يطمع قارئ أن يرى الكتب الجديدة جميعها تحت سقف مكتبة واحدة، بل سوف يرى الأشهر والأكثر انتشارا من الكتب العامة. فيجد الكتاب الشهير في كل مكان، ولكن الكتب الأخرى يمكن الحصول عليها بسهولة، فقد كانوا يرسلون مجلدات ضخمة تتضمن فهارس الكتب الجديدة، وعلى مايكروفيلم، قبل التسعينات واليوم الكومبيوتر ييسر لك كل كتاب متى عرفت عنوانه أو رقمه الدولي المتسلسل، أو اسم مؤلفه، وبإمكانك أن تطلبه من أي مكتبة في وقت قصير، ومن المكتبات من تعرض على القراء أن توصل الكتب لبيوتهم، وتقدم لك الكتاب بطريقة أنيقة وكأنه إهداء.

ومما يستحق الذكر هنا أن نشير إلى أنه منذ أقل من عقدين من الزمان انتشرت المكتبات الدينية وتوسعت عددا ونوعا، وكانت نادرة جدا من قبل، ويباع ويوزع فيها كتب تتفوق في التوزيع والشهرة على عدد الكتب العامة، وقد كانت الكنائس

Twitter: @ketab_n

من قبل تكتفي بحضور قليل في الأسواق التجارية، حيث تضع رفوفا خاصة بكتبها في الأسواق المركزية، وفي زوايا الكنائس، وسبق أن زرت بعض الكنائس بحثا عن كتب شدت انتباهي فترة ما، ولم أجدها في المكتبات العامة، ولم أكن قد ملكت مهارة البحث عن مواقع هذا النوع من الكتب.

أما اليوم فالكنائس وأتباعها قد فتحوا مكتبات كثيرة جدا في المدن تهتم هذه المكتبات إلى جانب توفير الإنجيل وشروحه وملخصاته الكثيرة جدا وقواميسه ببيان المواقف المسيحية من القضايا السياسية والانتخابية والاجتماعية الداخلية، بل وبعض الشؤون النصرانية للإرساليات في الخارج، إلى جانب وسائط متعددة لتربية الأطفال دينيا، وربطهم بكل ما هو مسيحي، بدءا بطفولة المسيح، وصور مريم وهي تحمله على يديها الحانية، مرورا بصور الصلبان، ومدارج عيسى عليه السلام في فلسطين، وانتهاء بتعريف الأسر بمواقع الإنترنت الدينية، وبرامج مخيمات الشباب المسيحي في الصيف.



Twitter: @ketab_n

أصدقاء

المدينة الرئيسة في ولاية ميشجن هي ديترويت، مدينة صناعة السيارات، (ولهذا يعيش بها أكثر من عشرين ألف يمني، وبسبب عددهم وأمور أخرى يوجد لهم أماكن خاصة ومدارس وديوانيات ولهم مشائخ قبائل هناك ونواب عشائر في محاولة للحفاظ على تفاصيل الهوية ! ومنها انطلقت شركة فورد، وشركة جي إم وكرايسلر التي اشترتها منذ سنوات قليلة شركة دملر بنز، – المالكة لسيارات مرسيدس الألمانية، ليصبح اسمها: "ديملر كرايسلر" وفي ضواحيها قرية "فورد" باسم مؤسس شركة فورد، ومتحف السيارات، وفي المتحف سجل لعلاقته بالمخترع الشهير أديسون، صاحب المثل المفيد "العبقرية تسعة وتسعون في المائة منها عرق" وهو يوجه إلى أن العبقرية ليست هبة نجلس نرقب هبوبها علينا في لحظات نوم وغفلة عميقة. فتتبجس أمامنا دون مقدمات، بل هي عمل دائب، (فالنجاح كما قال جهد طويل من المحاولات الخاطئة وإعادة المحاولة ونقدها مرات عديدة، حتى يتم النجاح).

وفي ديترويت معرض سنوي دولي في بداية كل عام ميلادي تأتيه السيارات من كل مكان في العالم للعرض، ولكشف آخر إبداعات هذه الصنعة. وعاصمة هذه الولاية مدينة لانسنج وهي صغيرة مقارنة بديترويت وشهرتها، و"لانسنج" هي المدينة التي تحدث عنها "مالكوم إكس" (في كتاب مذكراته التي تحمل اسمه) الزعيم المسلم الأسود، وشهدت زمنا من شبابه. وكثيرا ما

Twitter: @ketab_n

تكون عاصمة الولاية مدينة صغيرة، وتلك فكرة استراتيجية ذكية، حتى لا يتركز كل شيء في المدن الكبرى، وفوائد عديدة أخرى، فالمدينة الكبيرة تنسي ما عداها. فتجد عاصمة كاليفورنيا ليست لوس أنجلس ولا من كبار المدن بل مدينة "سكرمنتو" الصغيرة، وعاصمة ألينوي ليست شيكاغو المدينة الكبيرة الشهيرة بل مدينة صغيرة تدعى "بيوريا" إن تكن سمعت عنها، وعاصمة تكسس أوستن وليست دالاس ولا هيوستن. وكثير أيضا من الجامعات تقام وتنمو في مدن صغيرة، مثل برينستون، وييل، وبيركلي، وستانفورد. وفي بريطانيا أيضا جامعتا أكسفورد وكامبريج، مدينتان صغيرتان تقومان على الجامعة. ويجد الطالب كل ما حوله العلم وصنوفه ورجاله ومعاهده ومكتباته، فتكون سنوات الدراسة سنوات مؤثرة في حياة الطالب، إذ يعيش زمنا خاصا مفيدا لا يتكرر في مكان آخر، فللمكان إيحاؤه الخاص.

وفي ديترويت جالية عربية كبيرة وهي أكبر تجمع عربي في مكان واحد في الولايات المتحدة، ومجيئهم مختلف الأسباب، ويبدو أن العمل في شركة فورد كان من أهم أسباب ذلك، وهو أيضا السبب في تجمع جالية كبيرة من السود في منطقة ديترويت، وفي نهاية الستينيات غلب السود على المدينة، وإلى الآن، وكانت من أعلى المدن في معدل الجريمة، واليوم بدأت المشاجرات تنتشر بين الجالية اليمنية والسود وبين العرب عموما والسود في مدينة ديترويت وضواحيها، وحدثت حوادث قتل بين الجانبين أشعلت الخلاف. والضاحية العربية التي يسكنها جل الجالية العربية من اليمن ولبنان وسوريا والعراق هي ضاحية دير بورن، وبها عدد

Twitter: @ketab_n

كبير من المساجد، ومحامون عرب وأطباء وتجار وشركات عربية حتى إنك تجد اللوحات في الشوارع عربية، والآذان يسمح به خارج المسجد اليمني الكبير بسبب أن الجيران من العرب المسلمين. وفيها نحو أربع مكتبات لبيع الكتب العربية والأفلام والأغاني والسجاجيد ومحلات لبيع الملابس الإسلامية للنساء خاصة الحجابات ونحوها. والبقالات والأفران العربية ومحلات الحلويات.

وكثير من اليمنيين الذين عاشوا هنا علاقاتهم ضعيفة بالناس والبلاد الأمريكية التي يسكنونها، وبعضهم يمضي عليه خمسون عاما في المنطقة نفسها ولا يعرف من الإنجليزية إلا كلمات قليلة، هي الكلمات التي تتردد في المصنع، أو في البيت، وكثير من هذه العبارات إنجليزية تصاغ صياغة عربية جديدة، ومفهومة عند العرب، مثل قولهم "برّك الكار بين الكيران" أي أوقف السيارة بين السيارات، وصديقنا رياض سكن فترة في دير بورن وعنده قاموس طويل من النكت التي يرددها جماعته اليمنيون في ديترويت. ويسخر بمصطلحات عديدة قد يصعب نقلها هنا. ويفعل كما يفعل عمر الكيني صديق آخر في آن آربر وهو يسخر من نطق العرب لبعض الحروف، فيقول: إنهم يعلنون في المسجد ويقولون: *"Please do not bark in front of the Masjid"* يريدون نرجو ألا توقفوا سياراتكم أمام المسجد، فأصبح المعنى "نرجوا ألا تنبحوا أمام المسجد." لأن حرف "*p*" غير موجود في العربية فينطقونه "*b*" ويتغير المعنى كما رأيت لمعنى مضحك.

وفي ميشجن مدن أخرى منها "مونت بلزنت، وجراند رابدز، حيث توجد كنيسة من أنشط وأغنى الكنائس في الشمال، وقد

Twitter: @ketab_n

استطاعت استقدام نحو من ثلاثة آلاف من اللاجئين المسلمين البوسنيين، حيث تهتم بهم الكنيسة وبأطفالهم وبتوجيههم إلى حياة مسيحية. وقد كنت التقيت في أحد الأسفار مع عدد من هؤلاء الأطفال وهم متجهون لزيارة بلادهم البوسنة، والله يعلم ماذا سيكونون مستقبلاً.



عند وصولي قابلت في وقت قصير عددا ممن عانوا أو يعانون من مشكلات المضايقة للمسلمين، واستمعت في فترة قصيرة جدا لقصص مؤلمة، لم يكن سببها الشعب الأمريكي ولا العامة، بل بتصرف الحكومة، بعضها مما له علاقة بقصص الهجرة، وادعاء بالمخالفات القانونية للهجرة، وكانت أغلبها مما لا صحة له، أو هي مجرد خوف وأوهام، فهل للحكومة من عذر فيما صنعت بالمسلمين المسالمين الذين لا ناقة لهم ولا جمل فيما كان يحدث وما حدث. وهل الخوف من الإرهاب هو السبب أم أنه كما يكرر دعاة الصهيونية عملية طرد للإسلام وللمسلمين من أمريكا، ووقف الهجرة الإسلامية لها، حيث طردوا من أمريكا ما يزيد عن اثني عشر ألفا من المهاجرين العرب والمسلمين بدعوى المخالفات القانونية وأغلب ذلك كذب، وهم في فترة قريبة بعدها منحوا قرابة ثلاثة ملايين من المكسيك وجاراتها إقامة قانونية للذين دخلوا بصفة غير قانونية، بعض أسباب ذلك سياسية للحصول على أصوات الناخبين الأسبان، والحقيقة أن من الأسباب الرئيسة الخوف من انتشار الإسلام، وتزايد نفوذ المسلمين في مستقبل هذه الدولة. بعد أن

Twitter: @ketab_n

ارتفعت نذر الخوف اليهودي من تسارع قوة المسلمين وصعودهم في المجتمع عددا وتأثيرا اقتصاديا وسياسيا، قبل مشكلة نيويورك.

لقد كانت هذه الضربة للإسلام في أمريكا هي فرصة العمر للصهاينة وخير مناسبة لأن يحققوا الكثير ضد خصومهم، وأن يغتنموا اللحظة التي قد لا تتكرر. وقد تجلت المحاولات الكثيرة في أكثر من جانب من أهمها الإعلام، فقد هبوا على جميع المنابر، وأصبح كل منهم خبيرا ومحللا، واستخدموا وسائل غيرهم من المتطرفين المسيحيين من مثل جريدة "واشنطن تايمز" فقد كتبوا فيها مقالات دعائية كاذبة تلغي حتى الأرقام التي يقال إنها تحدد أو تقدر أعداد المسلمين وقالوا إن العدد هو فقط ربع العدد المعلن، أي نحوا من مليونين، وأكدوا أن هذه الأعداد قليلة ومن المهم ألا يعلق عليها الناخبون أي أمل. جاء هذا ردا على قصة الاعتراف بالمسلمين ووجودهم، وردا على مجاملة أو توقع مجاملة النواب للجالية المسلمة والحرص على أصواتها. وقد كان بعض النواب يذهبون للمسلمين في مواقعهم يطلبون أصواتهم ويقفون على أبوب المساجد أملا في زيادة عدد من يصوت لهم مثل ديفيد بونيور من ميشجن وغيره.

ولعل ظاهرة الكذب المستمر من أعجب ما يعرفه الإنسان من ثقافة الصهاينة، وهم يكررون طريقة النازيين –ومن قبلهم ميكافيلي– اكذب واكذب واكذب حتى يصدّقك الناس! وقد كنت أستمع لنتنياهو أول ما بزغ شره على "السي إن إن في الأزمة العراقية الكويتية" عام ١٩٩٠م واستغربت تلك الجرأة العجيبة، والكذب الصريح، ثم قرأت صفحات من كتابه عن "مكان لليهود تحت الشمس" كما يرى، فما طقت ذلك، واستحال الإكمال.

Twitter: @ketab_n

واستغربت فعلا أن قوما يؤثرون وتظهر أسماؤهم بسبب قحة كذبهم، والاستهتار بكل شيء عرفه الإنسان. ولا أتخيل صعوبة موقف أي شخص يستمع له محدثا أو محاورا أو كاتبا وهو يهدم كل شيء في طريقه، مما ينم عن عقل أو إنسانية أو تاريخ. وعليك أن تأتي له وأنت فارغ الذهن من كل شيء، فلدى هذا المفتري من الكذب ما يسبب لك أزمة مع الحقائق التي تعرفها أو يعرفها العالم، فعليك أن تستعد لمن يملك الجرأة بتسفيه وتكذيب حقائق العالم، ويلفق مكانها أكاذيب صهيونية فجة. فاعتبره جيشاً من الخيال الكاذب ومشهدا مروعا تستمع له ولو قليلا ثم تبتعد عنه بقية عمرك.

إنها خبرة عجيبة لا أتمناها لعاقل، ويسكت الناس وهم يسمعونه وغالبا ليس إعجابا به كما يتخيل ولكن لأنهم يرونه غاية في الكذب والمراوغة لا تطاق. وطبعة حزب العمل منه توماس فريدمان، ولكن بمقدار من السم أعلى، وأكثر التواء يتناسب مع شخصيته المتلونة المخادعة. وتقرب من الاشتراكيين مبطن بأصولية صهيونية متطرفة، جمعت عقد يهود روسيا وأمريكا وإسرائيل، وعنجهية الانتماء بالتبعية للسادة الأمريكان. وهو ضعيف جدا في الحوار يفقد أعصابه بأول كلمة تمس صهيونيته، فتتحرك يداه كالمروحة، وتمايل رقبته، وقد يهرب من المكان كأحسن حل للإستتار. ومع هذا فهو شاعر اليهود ولسانهم في نيويورك تايمز من ويرشحونه دائما للجوائز، لأنه يقذف سمهم في قلوب الشعب الأمريكي.

❀ ✿ ❀

Twitter: @ketab_n

استئجار سيارة

سبق لي أن سجلت عضوا مع شركة "هرتز" لتأجير السيارات، إذ يعطون بطاقة عضوية للمشتركين، وعندما تحجز وتذهب مع الحافلة التي تحملك من قاعة الوصول لمقر الشركة، وستجد اسمك مع السائق في كومبيوتره اليدوي، وسوف يخبرك بمكان سيارتك، وستجد اسمك على لوحة كبيرة بجانب أو أمام السيارات، ولا تحتاج أن تقابل أحدا بل تقودك لوحة عامة كتب عليها اسمك ورقم موقع سيارتك لمكان سيارتك وتجد السيارة مفتوحة نظيفة مملوءة وقودا وجاهزة بخريطة للمدينة والخطوط الرئيسة في المنطقة. وقد نسيت أن في السيارة خريطة وخفت من الضياع في شيكاغو التي أعرف فيها بعض دروبها، فذهبت للمكتب وقالت لي الموظفة: هذه خارطة، وفي السيارة واحدة أخرى فاطمئن. وكانت الأجرة نحوا من اثنين وثلاثين دولارا. وخرجت للسيارة وفي لحظات كنت في طريقي، وتذكرت أنني كنت في وطن عربي لهذه الشركة فرع فيه، وقد تعبت من شركات قبلهم فقال لي ممثل هرتز على الهاتف: إن عندنا سيارة جاهزة، بمواصفات مناسبة، ولما وصلت لم يكن عنده سيارة جاهزة، واضطررت أن أذهب بسيارة أجرة لمكان آخر.

ثم خرجت للطريق من مطار "أوهير" متجها إلى شارع ٩٠ أو ٩٤ شرقا من مطار أوهير، أكثر مطارات العالم حركة جوية، وهو المطار الرئيس لمدينة شيكاغو وما جاورها، وهناك في المدينة مطار

Twitter: @ketab_n

آخر وهو مطار "ميد واي". وأذكر ذلك لأنني مرة وعدت صديقا أن ألقاه في مطار شيكاغو، وذهبت على شركة "ميد واي" وفي الطائرة سمعت الملاحين يسمون المطار مطار "ميد واي"، وتبين لي أن المطار غير ذلك الذي فيه الموعد، وكانت فقط شركة ميد واي تستخدم هذا المطار القريب من وسط المدينة، فاستأجرت الحافلة للمطار الكبير، أوهير. ووجدت صاحبي هناك، يحملق ولا يجد أحدا.

وهناك عدد كبير من الشركات التي تولد وتقتلها الشركات الكبيرة بسرعة، وقد كانت هناك شركة "بيبل إكسبرس" وكانت أسعارها رخيصة، أذكر أنني سافرت معهم ولم نحصل على تذكرة السفر إلا في الجو وأخذوا المبلغ في الفضاء، وكانوا يبيعون الطعام في الطائرة، فمن أراد العشاء أو الإفطار فليدفع ثمنه أو ليسافر جائعا، وتلك الرحلة كانت بين ديترويت ولندن. لأنه لو حدث أن أحد الركاب لم يدفع او قليل آخرون فإن هذا سيبقى أرخص لهم من فتح مكتب في المطار، وتوظيف من يقوم لهم بهذا هناك. وكانت هذه من الشركات التي أفلست وأغلقت.

وشيكاغو هي أكبر مدن ما يسمونه بولايات الوسط الغربي، يتوسط موقعها وموقع مطارها القسم الشمالي من هذه الولايات، ويوزع مطارها الكثير من حركة الطيران في المدن المجاورة، وهو أيضا محطة للطيران إلى أوروبا والشرق والغرب الأمريكي. ولها مكانتها الاقتصادية الكبرى، فهي مركز اقتصادي وصناعي كبير. وعلى مسافة ليست بعيدة من المطار مسجد من المساجد الجميلة الواسعة وملحق به مدرسة ومكتبة للقراءة وأخرى للبيع، ويديره جالية من مسلمي الهند أو الباكستان.

Twitter: @ketab_n

وكثيرا ما كنا نصلي فيه أثناء زياراتنا للمدينة، وعندما نعقد اللقاءات التمهيدية للمؤتمرات، والمنطقة المجاورة للمطار فيها فنادق جديدة من أرقى وأرخص الفنادق، وبجوارها مطاعم من كل نوع، من الشرق والغرب. وتعد هذه المناطق من ضواحي شيكاغو، بأسماء مختلفة، ولكن القادم من بعيد يسميها بتسمية المدينة الكبيرة بحكم الغلبة والشهرة، والحقيقة أنها عدد من المدن المتجاورة، ولها بلديات ومؤسسات مختلف بعضها عن بعض.

وأعود لسفرتي هذه الأخيرة، ففي الطريق بين مطار أوهير والمدينة –شيكاغو– استمعت لإذاعة محلية كان برنامجها طريفا، وهي محطة تهتم بالنكت والضحك، وكان فيها مقابلة مع سوداني جنوبي يزعم أنه كان مستعبدا من قبل عائلة سودانية عربية، وقدم مقدم البرنامج لقوله بأن زعماء السود في أمريكا أنهوا الحديث عن العبودية واستغلال السود؛ لأنهم أنفسهم أصبحوا يستغلون السود، فلويس فرخان وجيسي جاكسون قد تركوا تماما الحديث عن العبودية في العالم لسببين أهمهما أن الزعماء السود هم أنفسهم أصبحوا يستعبدون السود لمصالحهم الخاصة. ولأن سودا آخرين في العالم أصبحوا يستعبدون بني جنسهم أيضا، ومن ذلك المثال الذي سوف يتحدثون عنه.

وفيما يتعلق بالجانب الأمريكي قد لا يكون الأمر بعيداً عن الصحة. فزعماء السود هؤلاء كوّنوا لهم طبقتهم الخاصة المتعالية عن عامة السود، وكوّنوا مميزات عديدة تكاد حالتهم تشبه السادة البيض بين قطعان العبيد السود، فهؤلاء الزعماء السود يوجد عندهم الاستغلال بأشكاله العديدة. ويسأل مقدم البرنامج "المذيع"

Twitter: @ketab_n

السوداني الذي جاء مهاجرا من جنوب السودان عن العبودية التي لقيها في السودان، ويحاكمه المذيع والمذيعة إلى ما يعرفان من تاريخ العبودية الأمريكية حيث الضرب المبرح، وحين كان السيد الأبيض الأمريكي يستمتع بالدم حين ينز من جلد العبد المجلود بسيور البقر السميكة، كما كان يصف فريديرك دوجلس في مذكراته. ويسأل المذيعان عن الضرب والجوع والعذاب الذي لقيه من السودانيين "البيض"!، فلا يجدان عنده ما يكفي لمتعة آذانهم وآذان مستمعيهم، فيلحان عليه في أسئلة من نوع ما يذكرون من استمتاعهم بما كان يحدث للعبيد، ويشيرون إلى قصص الجنس التي كانت تحدث للعبيد في أمريكا فلا يذكر لهم هذا شيئا، ثم يشيرون إلى قصص أخرى كلها من نتاج تاريخ العبيد في أمريكا، ولا يجدان عنده ما يمتعهم به. فيسألانه عن هل السيد كان يستخدم العبيد للتكاثر البشري، بحيث يكثر قطعان عبيده؟ فلا يجيب عليهم بما يحبان. ثم يسألانه عن مبرر العبودية في السودان فيقول لهم إن السودانيين العرب بيض وهو أسود، ويبين لهم أن هناك درجات في السواد، فيسألانه عن درجة سواده فلا تمكنه لغته فيما يبدو أن يشرح ذلك، فيسألان هل هو على درجة سواد اللاعب "مايكل جوردن" من السواد فلا يعرف اللاعب فيما يبدو أو لا يفهم السؤال. وقصة العبودية في السودان متعة الكنائس الأمريكية وطريقة للاستغلال المالي للناس، وسبيل لإثارة السود في أمريكا ضد الإسلام وضد العرب، وإبعاد السود في أمريكا عن الإسلام.

ثم انتهى بي الشارع السريع إلى زحام المدينة ولم أعد قادرا على المتابعة ولا سماع ما يدور إذ أصبح تركيزي على الخلاص

Twitter: @ketab_n

والوصول لمقصدي. والشوارع في شيكاغو واسعة ومزدحمة، غير أنها توصلك إلى مرادك في وقت معقول.

وتبث الإذاعة والتلفاز أيضا أنباء الازدحام في الشوارع، وتوجه سير السيارات في المدينة -كغيرها من المدن الكبيرة- باستخدام الطائرات الصغيرة، وبشكل مباشر ومستمر تعطي توجيهات عن الشوارع المزدحمة، وتنصح السائقين بتجنب بعض المناطق، فالطائرات المرورية أصبحت جزءا من الحياة اليومية منذ سنين، والطائرات التي تعطي أخبار الجو، وطائرات الشرطة وطائرات المحطات التلفازية يزيد عددها وتخصصاتها، وتقدم خدمات مفيدة للناس، وتوفر السبق الصحفي للمحطات المتنافسة على أعين وأموال الناس.

أما مواقف السيارات في وسط المدينة وبخاصة وسط الحي التجاري وبعض المناطق التي تتركز فيها الخدمات فإنها تجربة مكلفة، وما عليك إلا أن تدفع مبلغا طائلا لموقف السيارة، إن احتجت الوقوف في وسط المدينة، وقد دفعت لمدة ساعتين تسعة وعشرين دولارا، ولو زدت عن ساعتين لكان المبلغ كبيراً.

وقد سبق لي أن دعاني صديق يسكن في وسط الحي التجاري، فكان يذكر لي قبل المجيء أن من الضيافة التي سوف يقدمها لي "موقف السيارة" أثناء العشاء، وقد علمت أن الموقف مكلف من خلال كلامه وربما توقع مني أن أسأله ولكني بسبب طباع العرب الحيية في أمور الضيافة لم أسأله. ولما جربت بنفسي عرفت السبب، ومرة وجدت سعرا جيدا في فندق في المنطقة نفسها، فرأيت السعر مناسبا وسألت عن موقف السيارة وتكلفته

Twitter: @ketab_n

في الليلة فتبين لي أنه إما ثلاثين أو أربعين دولارا في الليلة، ولا يدخل في سعر الإقامة. لذا أفضل إن أدركني المبيت بها أن أسكن قريبا من المدينة، أو في حي ناء منها، وليس في وسط المدينة، ولا في الأحياء الشعبية المخيفة. والحركة في مدينة شيكاغو وبخاصة حيها التجاري الرئيس سهلة جدا لسهولة تنظيم المنطقة، فهي مقسمة لمربعات متقاطعة، بأسماء وأرقام وتعريف باتجاه الشارع شرقا وغربا وشمالا وجنوبا.

وعدت بعد هاتين الساعتين في وسط المدينة لآخذ الطائرة لمدينة ديترويت، والرحلة لعلها حوالي نصف ساعة أو أربعين دقيقة، وقد لاحظت في وقت الإقلاع بأن جهاز الأمن الداخلي الجديد اصبح له نفوذه الكبير، وعدده المهيب حول المسافرين وحول الحقائب.

وقبل أن أركب الطائرة تأكدت من أن أحجز سيارة في مطار ديترويت، وكانت حافلتهم تنتظر عند الباب للمستأجرين القادمين من الشركة، وسألني عن اسمي حيث أصبح اسمي عنده، كما سبقت الإشارة وأوقفني أمام اللوحة التي تبين موقع سيارتي وذهبت لها، وكانت جاهزة دون حاجة لمقابلة موظف ولا توقيع أوراق ولا عقد ولا خلافه. وفي طريق الخروج يتأكد شخص عند الباب وأنت في مقعدك وبسرعة من وجود رخصة القيادة. وذهبت لمدينة آن آربر المجاورة لديترويت. وكان البرد قارصاً كبرد شيكاغو، والثلج متراكما.

❀ ● ❀

Twitter: @ketab_n

لو كنت في موقعك

من النقاشات التي دارت بيني وبين المثقف الذي جاورني بين فرانكفورت وشيكاغو أنني ذكرت له تحكم اليهود في العقل والثقافة الأمريكية، وذكرت له قائمة أسماء يعرف هو جلها، وتحدثت عن دورهم في اختطاف العقل الأمريكي بعد حوادث نيويورك وواشنطن، وكيف استطاعوا أن يحولوا الحدث إلى غنيمة، ويجعلوا منه تجارة رابحة، ويضروا بمصالح الشعب الأمريكي، ويستغلوا الحدث، ففي غداة الحدث أغار شارون على عدد من القرى الفلسطينية وقتل عددا من المواطنين الأبرياء والأطفال. وسوف يكون حادث نيويورك غنيمة كغنيمة أفعال هتلر لهم. وعقّب محدثي بأنه يؤمن بكثير مما قلت، وقد لا يوافق على البعض، ثم قال لو كنت في موقعك بين المسلمين في هذه البلاد لفكرت بطريقة مختلفة، فليس من مصلحة المسلمين أن يؤمنوا بأن أمريكا قد سيطر عليها اليهود وتملكوها وانتهى الأمر فهذا يجعلكم سلبيين بلا أثر، ولا تستطيعون أن تقدموا لأنفسكم شيئاً.

بل الأولى تجاهل ذلك –وإن كان حقيقة– والعمل من خلال المؤسسة الموجودة، ومراعاة طريقة الحركة الفكرية والسياسية في البلد، أو نحوا من هذا. فقلت أشكر لك جدا رأيك مع أن من المناسب أن يهتم كل منا برأي الآخر، فرأيي يفيدك في معرفة الحال التي وصل لها مصير بلدك، وفكرتك مهمة جدا للمسلمين

هنا أن يقدروا حقيقة ما يحيط بهم، ولا يستسلموا، وأن يعملوا من خلال السبل القانونية لمصلحتهم ولمستقبلهم. فقد أصبحوا جزءا من المجتمع الأمريكي دون نقاش.

بقي أن أذكر هنا أن من أول الأمور التي تشعرك أنك في أمريكا خلوها من الدخان، أو ندرته، فقد أصبح التدخين في أمريكا عيبا مشينا وكأنه ضد الذوق العام، وتجد المدخن يتهرب لأماكن نادرة مسموح به فيها، أصبح من غير الممكن أن تدخل مطارا أو مكانا عاما فتستقبلك فيه تلك الرائحة الكريهة التي تصدمك في مطارات ومكاتب ومتاجر المسلمين، كدت أختنق مرة في مطار اسطنبول، فالرجال والنساء يدخنون، والجو في الخارج بارد في غاية البرودة، ثم أصبت بصداع شديد بعدها، أما في أمريكا فإن من مظاهر النظافة واحترام الذوق العام محاربة التدخين، فالدخان مطارد من المكاتب الحكومية والشركات، والمطاعم كثير منها يمنع التدخين، وقليل يسمح بزوايا محصورة للمدخنين.

هذا الدخان الذي يلازم حياة المسلمين، وكثير من الشعوب الفقيرة، ويمسك بخناقهم، ويفتك بأطفالهم وشيوخهم، ويقضي على النظافة والجمال والذوق، وينشر البؤس والمرض والقذارة، وللأسف فقد سجلت إحدى الدول العربية (الأردن) أعلى معدلات التدخين لدى الشباب في العالم!! إنها ظاهرة تلوث وتخلف يقف ضدها الغربيون اليوم، والأمريكان في بلادهم خاصة يواجهونها بحزم، ولكنهم يروّجون لها في خارج بلادهم، ويصدرون كميات هائلة من الدخان للعالم المتخلف، فتزيده فقرا ومرضا وديونا،

Twitter: @ketab_n

وتعاني شركات الدخان من الدعاوى المرفوعة، والعقوبات الخيالية التي يحصل عليها الأفراد والحكومات في الولايات المتحدة، والمستشفيات من الشركات المنتجة للدخان.

وكمية النيكوتين في الدخان المصدر تزيد عن الكمية في الدخان المباع في أمريكا. ولما حاصرت الحكومة الشركات في تحديد نسبة النيكوتين في السجائر، حاول هؤلاء أن يتفننوا في أن يقسموا الكمية المسموح بها من النيكوتين على طول السجارة فيضعون في أولها كمية من النيكوتين كبيرة مهيجة ومثيرة ثم تقل هذه الكمية في وسط السجارة، ولتعود بكثافة في آخرها، لتدعوه لإشعال أخرى، أو تبقي أثرا مشوقا في المستقبل؛ وهكذا تتقدم تقنية الاستهلاك بذكاء كبير.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

المرحلة الثانية

باريس

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

باريس

يوم وصل الأديب سامي الدهان إلى باريس قادما من أمريكا قال: لقد لاحظت أن الناس في فرنسا "سمر صغار" مقارنة مع الأمريكان، ذلك بعض ما قصه سامي في كتابه: "درب الشوك"، أو دروب الشوك، وإن أعطيتني حق الرأي في قراءتك للكتاب من عدمها لقلت لك ليس في الكتاب ما يستحق الاهتمام، ولولا اسم الدهان الذي كان ذا بال في يوم ما، وإلا لما تجشمت قراءته. وأخلف ظني الرجل "الشهير" وسبب شهرة الدهان عندي أنه هو أول من حقق وأخرج للعرب رحلة ابن فضلان، وهو كتاب بالغ الطرافة، وفيه فصل عن تاريخ الفايكنج، وهو الفصل الوحيد المكتوب عن تاريخ الفايكنج في ذلك الزمان وقد كنت أشرح لمسلم أمريكي جديد قصة ابن فضلان، ومغامراته في شمال أوروبا في عصور ظلماتها، فإذا بالأخ يقول لي هناك فيلم اسمه "المحارب الثالث عشر" قصته تكاد أن تكون كهذه التي تخبرني عنها، ورأيت الفيلم فإذا هو عن بعض القصة، ومثّل دور ابن فضلان ممثل من أمريكا الجنوبية –أو لعله من المكسيك– اسمه أنتونيو بنديرز. وقد خرجت طبعة أجدّ لمحقق مغربي هو: "عبد السلام البقالي" أحسن وأوفى من طبعة الدهان، قدم لها بمقدمة وافية بغرض الباحث عن تاريخ الكتاب وقصته. أما الفرق بين الكتاب وبين الفيلم فكبير جدا، لأن الفيلم اهتم بالحركة المثيرة والضرب والقتال وترك الكثير مما يجدر بالقارئ معرفته عن

Twitter: @ketab_n

الكتاب؛ فهو من تراث ورحلات الأجداد التالدة الطريفة، ولولا أنني تذكرت مقارنة الأمريكان بالفرنسيين عند الدهان، ونقاش مع الدكتور محمد العلي -عن الفيلم وسخرية العرب قديما من تخلف أوروبا- وكان قد رأى الفيلم وإلا لما جررنا حبل هذه الرحلة الموغلة في الزمان لرحلتنا هذه.

في زيارة سابقة قلت لمعاوية -كتبي في مكتبة ابن سيناء الباريسية- في فرعها العربي، جئنا لـ: "باريس مربط خيلنا" كما تقولون في لبنان، قال: لا نحن لا نقولها بل يقولها "لموارنة لموارنة" -دون ألف-. وتركت الاستمرار في المزاح حتى لا يتحول اللقاء إلى مواجهة طائفية، كما يتردد هناك دائما. ومدن الغرب عموما أصبحت مرابط لخيول بلدان كثيرة.

وقد كان بجواري في الرحلة من شيكاغو إلى باريس مدرس فرنسي يدرس اللغة الفرنسية في جزيرة مستعمرة. اسمها كاليدونيا الجديدة، في المحيط الأطلسي، يقارب حجمها حجم جزيرة مدغشقر، وقد دخل الجيش الفرنسي هذه الجزيرة أيام نابليون بونابرت، ولم تزل مستعمرة فرنسية، وميزانيتها من باريس، وأهم صادراتها النيكل، وهي أهم مورد له، ولم يزل الفرنسيون يعيشون بها معيشة المستعمرين، ويحاولون تعليم قلة من أهل البلاد ثقافتهم ولغتهم؛ ليكونوا أوفياء لفرنسا محافظين على الجزيرة تحت النفوذ الفرنسي. ولكن هناك محاولات ضعيفة للاستقلال ومصادمات مع السكان الأصليين، الذين يسكنون على الشاطئ الشرقي من الجزيرة حيث الغابات والفقر والجهل، ومناطق المستعمرين مترفة، وسكانها المستعمرون مميزون، فقد

Twitter: @ketab_n

ذكر لي هذا المدرس –المستعمر– أنه يتلقى تقريبا ضعف مرتبه في فرنسا بسبب أنه يقيم في هذه المستعمرة ويحافظ كغيره على تبعيتها ووجود قومه فيها، فهي كما يقول "تعطينا أضعاف ما نعطيها".

والتقاليد الاستعمارية تلزم المستعمرات وشبهها بأن تدفع أعلى المرتبات للمستعمرين المقيمين فيها؛ لأنهم أعلى إنسانية بحسب قائمة داروين، ولأن هناك عقيدة مشتركة بين الطرفين تشعر المهزوم بأنه يحتاج أن يدفع من ماله ومن دمه أكثر للمستعمر الذي سوف يرفعه من الوحشية والبدائية ويعرج به في مراقي الإنسانية، ولكن كثيرا ما تكون هذه أوهاما، إذ يحرص المستعمر على أن يترك الشعوب المستضعفة تعاني من أزمات كبيرة دائمة، تضمن بقاء المستضعفين ضحايا مخدرة، وموائد طازجة، متوفرة الخدمات للغزاة، ومجتمعات بائسة أو يائسة، من التقدم والتنمية، أو واهمة بالتقدم الشكلي، غارقة في مسيرة تتجه للوراء اقتصاديا وسياسيا، ولا تستطيع الانفصال عن مصدر قيمتها ومكانتها، ومن وضعها كما تتوهم على خريطة العالم، وتلازمها عقدة نقص لا تزول.

وآخرون من ضحايا المستعمرين أزعجتهم عقد الاحتلال فيتصرفون بطريقة غير عقلانية في التظاهر بالاستقلال والمفاصلة الشكلية والتي قد تضرهم أكثر، فالقطيعة مع العالم لا تفيد الضعفاء بل قد تعزلهم ليذوقوا مرارة الفقر والجهل والاستبداد والتخلف، كما حدث في كوبا وفي بعض دول العالم الإسلامي والعربي، ففي الفندق الرئيس في هافانا ولعله كان فندق

Twitter: @ketab_n

"شيراتون" بقوا يستخدمون بعض المناشف التي كانت في الفندق إلى أكثر من ثلاثين عاما بعد الثورة. فكادت أن تبقى طوال عهد كاسترو وربما إلى عودة أخرى للرأسمالية. ولئن كان في الرأسمالية مشكلات عميقة فإن في الشيوعية -أعني الاقتصاد الشيوعي- مشكلات فوق الوصف.



Twitter: @ketab_n

المؤتمر

حقوق الإنسان

أصحاب جمعيات حقوق الإنسان في العالم أقوام كانت لهم مشاريع كبيرة، انسدت في وجوههم الطرق، فمالوا لموضة حقوق الإنسان يتحدثون عنها، ويكتبون وينشطون، وفي ذلك خير، وربما كان هذا الحل في بعض الأحيان خيرا لهم ولمجتمعاتهم مما لو تحققت أفكارهم الكبيرة، التي قد لا تكون في بعض الأحيان خيرا مما اتجهوا له، وربما لو تحققت أفكارهم لكانت صغيرة وبائسة، كما هي على حقيقتها، بعد خلع أوهام الضجة والمبالغة. وقد كان بعض المنظمين للمؤتمر بقايا من هؤلاء، الذين وصلوا لمحطات النهاية متعبين، أو أدركوا الحقيقة متأخرين.

عند الدخول لمطار شارل ديجول في باريس كان الدخول سهلا، وبلا عقد ولا تفتيش، واستقبلني عند الباب ممثل للمنظمة العربية لحقوق الإنسان. وانطلقنا في طريقنا للمدينة في صباح بارد، والتقيت بممثل المنظمة الذي ذهب بي لفندق "إيبيس" وحدثني عن منع السفارة الفرنسية لعدد من ضيوف المؤتمر من المجيئ. وهناك قابلنا عددا من العرب الذين وفدوا للمؤتمر، منهم عبد الرزاق الشايجي ووليد الطبطبائي من الكويت، وفرحت للقائهما بعد نحو من ثلاثة أعوام، ولقينا آخرين تعرفنا عليهم من بلدان أخرى.

Twitter: @ketab_n

أقامت المؤتمر منظمة حقوق الإنسان العربية، وبالتعاون والدعم من منظمات خليجية خيرية وإنسانية، وقد تبين لي من أهداف المؤتمر أن يتحدث عن المضايقات التي تتعرض لها هذه الجمعيات -الخيرية خاصة- في العالم، وما يتعرض له عملها من مضايقة، وسبل مواجهة ذلك، والمتحدثون تحدثوا عن قضايا كثيرة، مما له علاقة قريبة أو بعيدة بالموضوع، وقد كان حديثي عن التحولات الفكرية التي يشهدها عالمنا وضرورة تفهم الأشخاص والمنظمات لهذه الحقائق المتغيرة، وتحدثت عن حقوق الإنسان وما يمكن أن يجمعنا نحن العرب والمسلمين بغيرنا من ذوي الاهتمامات في هذا المجال. والبحث عن مواقف مشتركة من ثقافاتنا، دون أن يلغي أحدنا الآخر. في سبيل ثقافة متغربة واحدة لا نجد فيها شيئا من أنفسنا، فالموضوع الذي نراه جميعا حقا ويحتاج للرعاية فسوف نجد من ثقافتنا أو ثقافة غيرنا ما يساعدنا في رفع الظلم عن مظلوم، ورفع الجور عنه. وسنجد أن هناك ملتقى لهذه المواقف بيننا، وفي المحور الفكري تحدث المنصف المرزوقي وكان جل اهتمامه الرد على فكرة صراع الحضارات الداروينية كما رآها، وقال: إن المبشر بهذه الفكرة هو مفكر البنتاجون. وقد أجاد في عرضه وتميز بالوضوح والإيجاز. كانت ندوتنا هي فاتحة اللقاء وسموها "أسسا بنيوية" أو نحو ذلك، والبنوية صناعة باريسية ثقافية فلا غرابة أن يسمّوا افتتاح اللقاء بهذه التسمية.

كانت هناك ندوات حقوقية وعن أعمال الإغاثة، وقرئ فيها من بحث الدكتور محمد السلومي وغيره، وتحدث نجيب النعيمي عن معتقلي قوانتانامو -وهو محاميهم- وكان حديثه مؤثرا في

Twitter: @ketab_n

السامعين أكثر من غيره، لأهميتهم وصعوبة الموقف، وتوحد الاهتمام، وحسن عرضه، فقد ساق قصة تدخله وفريقه بطريقة مؤثرة.

ثم نظّم حضور المؤتمر اعتصاما أمام اليونسكو بعد الندوات للتعريف بحال المعتقلين، شهده من استطاع الصبر على البرد الشديد، قال أبو عمير: لقد فكرت في الانصراف لشدة البرد، غير أني لما رأيت عجائز الفرنسيين والسويسريين يقفون محتجين يرجفون من البرد استحييت على نفسي أن أنصرف، ولا أناصر قومي المضطهدين.

هل كان للندوة من فوائد أو خسائر؟ سؤال يقوله من يلاحظ تكاليف هذه الندوات، وعندي أنها مهمة ومفيدة، إن استطاع منظموها أن يتابعوا بعدها عملاً ذا قيمة، أما إن كان اللقاء هو البدء والمنتهى فذلك يذهب هباء، ويقل أثره في الأرض. وهذه المؤسسات الغربية بعضها قليلة الموارد، ولكن فيها رجالا ونساء جادين مهتمين برسالتهم وعملهم. وهم دائبون ومخلصون في تحقيق أفكارهم، مما يجعل لعملهم وجهدهم أثرا وصيتا. ومن المسلمين من هم أصدق وأجد، ومنهم من يرى هذه الأعمال موسمية منقطعة.

❀ ● ❀

Twitter: @ketab_n

الخليجيون والبنطلون

لعلي كتبت عن هذا الموضوع من قبل، وفي هذا السفر تجددت الخواطر في بلد آخر، وزمن أقدم، وتجربة أخرى، ولا بأس بسرد بعض ما كان، فقد كانت الخبرة الأولى مرت بي عندما زرنا أول ليلة نلقى فيها قوما من بلدنا، في مدينة دنتون، ولاية تكسس، فقد ذهبنا للسهر في بيت أحد الطلاب من المبتعثين القادمين من الدمام، وكان قد أصيب بجراحة إثر لعب للكرة، وقد كان قبل مجيئه نجما في ناديه الرياضي في الدمام، ولم يستطع مفارقة الهواية، وقد بقينا عنده أكثر من ثلاث ساعات ممتعات، استعرض فيها خبرته في الرياضة وعادات سكان بعض المناطق القريبة من الدمام قديما، وكان منها عادات غريبة لا نعرفها من قبل، فكانت فرصة أن نتعرف على تقاليد بلدنا في أمريكا، فهناك عرفنا أن أهل حائل يسمون الطماطم "بردقان" لعلهم أرادوا: "برتقال" فكلها مدورة، والحجم متقارب!. ومن طريف ما ذكر مضيفنا أن المرأة في الدمام كانت تزف في ليل زواجها في قطعة من السجاد "زولية"!– وقرأت أن الكلمه من أصل فارسي– وفي كثير من الظروف تكون هي المرة الأولى التي يشاهدها فيها زوجها. وأقاصيص أخرى قصّها علينا وقد عبر على هذا اللقاء أكثر من سبعة عشر عاماً.

لم أنس قصتي في ذلك المجلس؛ ذلك أنني كنت طوال المجلس لابسا لبنطلون ولم تكن فتحته مغلقة، وكنا نجلس على الأرض،

Twitter: @ketab_n

ولما عدت بعد تلك السهرة الطويلة تنبهت لهذا، وغضبت من زميلي الذي لم يخبرني بهذا، وهو جالس معي طوال المجلس، فاعتذر بأنه لم يلمح ذلك.

مرت سنين ثم قرأت في كتاب جيفري روبنسون عن حياة أحمد زكي يماني وذكر أنه في أول يوم له في بوسطن وأول أيامه للدراسة في أمريكا، خرج لقاعة الانتظار في الفندق، ولما كان جالسا اقترب منه رجل ذي ملامح من ملامح الخنافس، فخاف منه ومن ما يمكن أن يسببه له هذا القادم المقترب الصامت، قال: ولما دنى مني جدا قال لي بنطلونك مفتوح! قال: فخف عني رعب الموقف وهلع الاقتراب.. كان هذا يحب النصح بسر.

قلت هذا لأنني في هذا المؤتمر ذهبت من الصباح مهتما بزيّي، ومهتما بموضوع المحاضرة، التي عدّل موضوعها ومكانها عدة مرات، وبقيت ساهرا ليلتي أكتب وأحذف وأفكر فيما يصلح للقول، وكنت متهيبا للقاء، ثم اعتليت المنبر متحدثا واللقاء مناقشا، وبقيت مع الناس سواد يومي، وفي عصر ذلك اليوم، وبعد انكشاف الغيم، تبين لي أن سروالي كان مفتوحاً! وأني لم ألبس الحزام! والخليجيون ليس لباسهم الدائم هو اللباس الغربي البنطلون وما شابه، بل لباسهم الثياب، وهي ساترة كاسية، غير معقدة، مناسبة صحيا للبيئة العربية وما يشبهها من الصين إلى المغرب. غير أن التكلف والتغرب يجعل العربي يلبس البدلات الصوفية وما يشبهها، حيث يحزم الرجل نفسه في الصوف أو النايلون في حرارة الصيف، وكأنه في صيف النرويج، والمرأة العربية المترفة تبحث عن الفراء لتلبسه في جحيم الصحراء؛ لأن

Twitter: @ketab_n

امرأة غربية مترفة تلبسه في الشمال الأوروبي! وذلك يناسب ثقافتها وجو بلادها، ولكن هذا التقليد مضحك مضر!.

وقد كنت أرى ملابس تفصّل في مصر يلبسها أساتذتنا، وهي سراويل طويلة، وقمصان سابغة إلى نحو نصف الفخذ، أقصر من قمصان الباكستانيين والأفغان، وهي أستر وأوقر من اللباس الغربي، وأنيقة، ولكنها غابت اليوم ولم أعد أرها كثيرا، ربما كانت الرغبة في التغرب والتقليد هي التي قاومت تلك الموضة الجميلة الجيدة التي كانت مناسبة للبيئة والذوق.

ولكننا كثيرا ما نمارس ثقافة غيرنا حتى عندما لا تناسبنا، ولم أكن من الجرأة أن ألبس كالدكتور عبد الرحمن النعيمي والطبطبائي اللباس العربي وأخرج به على المنصة. لاحظت أن الزملاء الذين عاشوا في الغرب من قبل لزمن التزموا اللباس الغربي دائما في أثناء الرحلة، كالسويدي وجوهر وغيرهم.



Twitter: @ketab_n

ندوة في السوربون

دعينا بالحاح للمشاركة في ندوة تقوم في جامعة السربون الثالثة، في مركز دراسات الشرق الأوسط، وهو مركز يديره برهان غليون، وهو عربي سوري، يقدر ويحترم زواره في الجامعة، وقد كانت عبارة عن جلسة بحثية، تحدث فيها اثنان عن الوضع العربي والإسلامي في فرنسا، وقدم الدكتور قيس العزاوي ورقة جيدة في هذا الموضوع. ولم أجد الصورة مختلفة كثيرا عما حدث في أمريكا من الناحية الإعلامية، إلا في جانبين مهمين وهما نفوذ اليسار القوي، واتساع إعلامه ومؤسساته في فرنسا، والمواقف المعتدلة للحكومات الأوروبية مقارنة مع أمريكا فيما يخص ما حدث. كما أنه لم يحدث الكثير من الحوادث المزعجة كما حدث في أمريكا.

تحدثت في تلك الندوة عن المسلمين في أمريكا، وتعرضت بإيجاز لتاريخهم وأنماط هجرتهم، وبعض المحن التي تعرضوا لها. ثم تحدثت عن آثار ما حدث عليهم، ومما أشرت له أن ذلك سبب ويسبب انقطاعا بين المسلمين وبيئآتهم وفكرهم وأقاربهم في العالم، وأن نأي أمريكا يزيدها غربة وبعدا في المواقف، فالغربة فيها غربتان. والبعد عن العالم سبب بعدا في فهمه، وصعوبة في التعامل معه. وهذا الوضع الصعب أنتج جماعة الوسطاء أو المفسرين لعالم الإسلام والمسلمين الذين يعرفون، أو يدعون، ويستغلون جهل الأمريكي العادي بما دار ويدور، وهذه المجموعة هي مجموعة

Twitter: @ketab_n

اليهود الصهاينة منهم خصوصاً ، الذين تولوا تفسير اللغز الصعب "الإسلام" ، وتفسير ثقافته ، وتأويل ما يدور وفق مصالحهم. ثم يضع هؤلاء الحلول لما يدور ولا يخلو هذا الحل –صريحا أو تلميحا– من أن يجعل الموقف مع إسرائيل والقرب منها ودعمها ، وتأييد مظالمها هي خلاصة دعوات هؤلاء. إضافة للدعوة لإفقار وإرهاب المسلمين حيثما كانوا والترويع منهم ، وكان دور اليهود الإثارة الإعلامية ضد المسلمين ، ثم أصبح دور الصهاينة الأكثر تأثيرا منهم دور المقرر والموجه السياسي والعسكري. ثم تحدث الدكتور محمد العلي من قطر عن العلاقة بين الإسلام وأوربا ، وتجربته الشخصية في هذا الموضوع. ثم خرجنا لندرك الصلاة في المسجد ، ونزور المكتبات المجاورة ، التي لم نشتر منها ما يستحق الكتابة عنه.

وقد سبق لي أن زرت أحد أحياء العرب في باريس – قبل هذه الزيارة بست سنوات– فوجدت عددا من الكتب العربية القديمة القيمة والمترجمة ، وحاولت أن أجد وقتا في هذه الزيارة فلم أستطع. وللعرب مكتبات ومطاعم في مناطق الجزائريين والمغاربة القريبة من ميدان ريبوبليك ، ومنطقة قريبة من جامعة السوربون الرئيسة.



Twitter: @ketab_n

معابد الحداثة

قصر فرساي

كانت هذه هي المرة الأولى التي أمر فيها على قصر فرساي، وبالرغم من زيارات سابقة للمدينة كانت كلها زيارات علمية لا هدف للسياحة فيها إلا تبعا، يوم أجد وقتا فارغا. وكان عندنا يومان قبل السفر وهما يوما السبت وسواد الأحد، وفي صباح السبت برفقة الدكتور محمد العلي والدكتور خالد دياب ذهبنا للقصر الكبير، وعلى رغم القراءة عن هذه المواقع إلا أن القراءة تذهب بعيدا يوم تعرضها على الواقع، ولم يجد رفيقا سفري عندي من معلومات ذات بال عن القصر، ولم أجرؤ أن أقول إنني درست تاريخ الثورة الفرنسية لمدة فصلين دراسيين في الدراسات العليا، على يد مؤلف قاموس الثورة الفرنسية وواحد من أبرز علماء تلك الحقبة، ولن أنسى سعة علمه وتمكنه في كل صغير وكبير يتعلق بالثورة، ولأن المعلومات المهمة والمفيدة كانت غائبة أو معدومة، فقد استأجرنا الدليل الصوتي وهو عبارة عن جهاز تضع سماعته في الأذن أو تضعه على الأذن كالهاتف، وكلما مررت بغرفة أو قاعة في القصر تضرب على الرقم فتأتيك مادة مسجلة عن الغرفة أو القاعة. ومعلومات عن وظيفتها وتاريخ بنائها وقصة ساكنيها، وتعريف بالرسامين الذين رسموا لوحاتها.

لفت انتباهي أن أحد رفاق الرحلة تنبه إلى فائدة هذا الجهاز، بقوله: لو جلب أحد مثل ذلك الجهاز، وعدّله، ليكون دليلا إلى المناسك والمواقع الأثرية في مكة، لكان خير وسيلة لتعريف الزوار

Twitter: @ketab_n

والحجاج والطلاب على مواقع المناسك والمواقع التاريخية! فرحت بفكرته ونباهته وحضور هويته أو فطرته التجاريه.

وكان من سكان هذا القصر سان سيمون، الكاتب الشهير، وعدد هائل من إمبراطوري القصر المتعاقبين، وإمبراطوراته. ووقف التسجيل عند واحدة من الصور الكثيرة التي تغطي الجدران، وعن تلك الصورة تحدث الدليل المسجل عن قصة وفود سفير للدولة العثمانية محمد أفندي لبلاط فرساي، وكيف رأت في ذلك فرساي زهوا ومكانة عظيمة سبقت بها غيرها من دول أوروبا.

لقد كانت مناسبة تاريخية هامة في تاريخ فرنسا وإمبراطورها آن ذاك، وكان شرفا للإمبراطور وعلو مكانة أن يستقبل سفير العثمانيين، ورأى الإمبراطور في ذلك تعاليا ومكانة فوق حكام أوروبا أن يستقبل سفير تركيا، وأشار أنه قد سجل هذا الرسامون، وكتب عنه سان سيمون وغيره، فتأمل تغير الأحوال!

بعد تعب السير والبرد طلبنا من السائق أن يذهب بنا لمقهى حيث نرتاح ونشرب الشاي، فذهب بنا إلى أرقى مقهى أو مطعم يعرفه، وهناك كان أحدنا لا يلبس المعطف المناسب لهذه المناسبات ولجو المطعم الراقي أكثر مما توقعنا. وسألنا النادل المتكلف هل سبق أن حجزنا ولم نكن فعلنا، فذكرنا له أننا نريد الشاي والراحة فقط، قال: إنهم لا يقدمون الشاي في الشتاء، فتحملنا التنازل الأول، ثم حمل معاطفنا الثقيلة وأبقى المعاطف الخفيفة، وكان أحدنا يلبس فقط معطفا ثقيلا واحدا خلعه، فجاء له النادل بمعطف خفيف ليكتمل الزي الرسمي وحتى يكون له حق دخول

Twitter: @ketab_n

المطعم أو المقهى، –إذ لا يجوز في نظام ذلك المطعم البقاء فيه دون لباس رسمي– وما كنت أتوقع الفرنسيين حريصين على هذه التقاليد، حتى حصلت هذه الحادثة، كرهنا هذه القيود المصطنعة، وأبى صاحبنا قبول لباس معطف عام مبذول لجميع الزوار، فكم في تكلف الذوق أحيانا من قلة الذوق، استهجنا هذه السخافة، ونحن أرقى ثيابا ووقارا، وخرجنا لنذهب لمنطقة أخرى.

كنت أتوقع هذا التزمت خاصا بالبريطانيين، حيث يحافظون على تقليد عقدة "ربطة الفراشة" على العشاء –بدلا من ربطة العنق الطويلة – في بعض مطاعمهم الراقية. غير أني أذكر أن زيارة الرئيس الإيراني (خاتمي) لباريس كان سبب تأخيرها لفترة من الزمن مشكلة وجود الخمرة على المائدة الرسمية في قصر الإليزيه، فلم يتنازل أي من الطرفين عن موقفه من وجودها، إذ يصر الفرنسيون على تقليدهم، ويصر الإيرانيون على حرمة الجلوس على مائدة يدور عليها الخمر.

وقد واجهتنا صعوبة وجود مكان في بعض المطاعم التي اخترناها، وقد اشتد البرد والحاجة لمكان نستريح من سيرنا ومشينا الطويل، فذهبنا لمطعم غال فيه مجال للجلوس، وكان الطعام غاليا جدا بلا ذوق ولا لذة ولا كمية كافية. وقد أخذ أحدنا لحم عجل يبدو أنه كان مفروما "نياً" ولكنه قال ومع ذلك فقد كان طيبا. ولم أستغرب من دمشقي عريق أن يقبل على "الكبة النية" وإن كانت فرنسية.

❀ ● ❀

Twitter: @ketab_n

الصوفية

ذهبنا لمسجد باريس الرئيس الكبير القديم الذي بنته حكومة فرنسا للمسلمين مكافأة وجزاء خدمتهم لها في الحرب العالمية، وهو بناء جميل على طراز مغربي، قاعة الصلاة فيه صغيرة مقارنة مع الملاحق الكثيرة. دخلنا بعد صلاة العصر ووجدنا حضرة صوفية، وكان بعض من معي يرى هذا لأول مرة، لا شك استاء أصحابي من المنظر، والأصوات غير المعتادة، وعلق أحدهم بأن هذا ما كانت فرنسا تتمناه وغيرها أن يعم العالم الإسلامي أناشيد راكدة مركدة منومة. ولا بأس بأن ينشد المسلمون في المساجد سنينا وراء سنين، ويتغنوا ويتفننوا في الأهازيج وهز الرؤوس في المساجد ما طاب لهم أن يفعلوا. فذلك لن يؤذي تحكم فرنسا في شمال إفريقيا ولو أنشد هؤلاء قرونا. ولم نسمع فيما دار من أهازيجهم كلاما سيئا ولا مبالغات تنتقد عقديا. وقد جئنا بعد فترة من بدء تلك الحلقة، فلا نعرف شيئا عما سبق من أهازيج وأدعية وصلوات.

ثم خرجنا بعد هذا إلى مطعم مبني في ركن المسجد، وهو على الطراز المغربي وأغلب روداه ذلك اليوم من الفرنسيين، وقد طلبنا من النادل الجزائري "شايا مغربيا" فاعترض علينا وقال هذا شاي "مغاربي" وليس مغربيا فقط، فلم يسلم الشاي من الخلاف السياسي بين المغرب والجزائر، ولا من البحث عن الوطنية في كأس الشاي.

❀ ● ❀

Twitter: @ketab_n

فرنسا واللغة

ذهبنا للمتحف العسكري في وسط المدينة، وكان سجلا لأمجاد فرنسا الحربية، وجزء كبير منها لأمجادهم وحروبها في العالم الإسلامي، في الجزائر والمغرب ومصر وسوريا، وهناك شاهدنا سرج خيل المماليك، والألوية العربية والتركية التي غنمها الفرنسيون من معاركهم. فهنا راية جزائرية أخذت عام ١٨٣٠ مكتوب عليها "وما توفيقي إلا بالله"، وهناك راية أخرى للدروز في سوريا بعد قرابة قرن، وصور لمعارك نابليون في مصر وخيول المماليك المقابلة، وسرج من صنع المماليك بديعة الإتقان، وصور قديمة من كتاب وصف مصر وغيرها ونماذج لملابس نابليون بونابرت، وسريره المتنقل الذي كان يحمله في المعارك، والذي كان آخر مأواه في جزيرة سانت هيلانة، بعد هزيمته ضد الإنجليز، ولولا سجن نابليون في الجزيرة لما سمع عنها أحد، وهو كما يعرف متابع حياته وسيرته من كورسيكا حاد القسمات، أنيق اللباس، عبقري القيادة.

وقد اطلعنا في المتحف على معلومات مختصرة عن معركة الجزائر ومعركة الأهرام وغيرها. وفي المتحف لا وجود للغة الإنجليزية "إلا نادرا" ولا للعربية مطلقا، وقد وجدنا صعوبة في التعرف على ما كان موجودا. لهذا السبب، ولتعصب الفرنسيين الكبير للغتهم، ونفيهم لغيرها. وقد رأيت فعلا ذلك مجديا من ملاحظة عابرة، إذ يشعرك هذا بأهمية تعلم الفرنسية، وهذا

Twitter: @ketab_n

بخلاف دول عديدة لا تثق بنفسها ولا لغتها في العالم الثالث، بحيث تشعرك أنه لا أهمية ولا مكانة للغة الشعب، فيسهل عليك أن تعيش فيها إن كنت أعجميا من الغرب أو الهند، أما حياة العربي فيها فعسيرة، لأن كل شيء بلغة أجنبية بدءا بكلام الخادم وانتهاء باسم المرض وكلام الطبيب والدواء.. وبإمكانك أن تعيش وتفيد وتتعامل دون أي حاجة للغة العربية في بلد عربي.



Twitter: @ketab_n

نابليون بونابرت

أهم شخصية فرنسية في العصور الحديثة، فمع أنه كان قصيرا؛ إلا أن قامته قد امتدت عبر العصور! وسيبقى له من المجد والأساطير ما يشغل الناس، ولا يماثله في ثقافة الغرب شهير في عدد الكتب التي كتبت عن حياة إنسان إلا عيسى عليه السلام، ومنذ ما يزيد عن عقد كانت الكتب التي كتبت عنه تزيد عن ثلاثة آلاف كتاب، ولم يزل يخطف الألباب سحر مواهبه القيادية، وشجاعته واستيلائه على القلوب، وعدوانيته وإدارته. ومن آخر ما رأيت كتابا بالعربية -مؤلفا أو مترجما- يتحدث عن إسلامه، وبحث هذه المسألة ببعض التفصيل، من وثائق عديدة، وقد زعم نابليون أنه جاء لينقذ العرب، ويحترم الإسلام. والكتاب جمع مشكور لمادة جديدة العرض في الموضوع.



Twitter: @ketab_n

ماذا بقي من الغرب

لا أزال أذكر حديثا دار بيننا وبين شيخ فاضل كان يزور لأول مرة بلدا غربيا "لندن"، فخرج من مقر سكنه إلى الشارع وسار يمينا لمسافة، ولم ير الملامح الحضارية التي يتحدث الناس عنها، ثم سار شمالا لمسافة طويلة ورجع ورفع صوته فينا قائلا: أين الحضارة الغربية التي يتحدثون عنها؟ من مطار هيثرو إلى هنا ومن جهات المبنى كلها ذهبت مسافات ولم أر شيئا! هل نحن في مكان مختلف أم لندن كلها كذلك؟ قلنا: بل هذه هي لندن، وليس فيها البريق الذي تسمع عنه من وراء الأفق! – هناك مبان جديدة جميلة فيما أصبح يسمى بال: "سيتي" وهو الحي المالي الجديد.– ولو علمت حقيقة الحياة هنا، وكآبة المساكن، وضيقها، وغلاء الحياة، وقذارة المياه، وحال القطارات التي تحت الأرض، وبؤس الناس لرجعت برأي أشد استنكارا على هذه الحضارة. غير أن هذه أوروبا التي كانت تغرب قبل الحرب العالمية الأولى، كما يرى شبنجلر، وفي الثانية كما رأى غيره، من أمثال بول كيندي، وجون لوكاش.

وفي نقاشاتنا ونحن عائدون من قصر فرساي واستمر الحديث بعد زيارة المتحف الحربي، كان يشغلنا أمر واحد هو أن هذه المدنية الغربية التي نزور آثارها القديمة، والتي تمت مبانيها في القرن الثامن عشر والتاسع عشر وبداية القرن العشرين، ثم هي آثار قديمة يتجولون فيها كما نفعل نحن يتأملون بقية لنظام قديم

Twitter: @ketab_n

ولى زمنه وأهله، وقوة لم تعد موجودة، فأوربا منذ أنقذتها أمريكا من الحرب الأهلية الثانية فيها لم تعد تعطي شيئا للعالم، سوى بقية المهارات التي تبقى بأيدي المهرة اليدويين، وبقايا الحفاظ على النفس، وقد أوكلت حماية نفسها لأمريكا، حتى في مشكلة البلقان ويوغسلافيا لم تكن أوروبا قادرة على فعل شيء. شاخت هذه القارة وهرمت، وقل الإنجاب فيها، وزادت الضرائب وتعسرت الحياة وأصابهم الغلاء، والتبعية وعدم الثقة. تراهم يحافظون على الفرنسية والألمانية بالقوة والقوانين، في وجه هيمنة اللغة الإنجليزية التي أصبحت أمريكية، فأمريكا أعطتها الحياة، والهند وبقية المستعمرات، والحاجة أو عقد النقص في بلدان أخرى.

لكم يحلو لنا نشر نقصهم، وأخبار إفلاسهم، وتراجع القيم عندهم، ومع كل هذا فقد بقي للإنسان الغربي ما يجعله منتجا ومؤثرا، وهو كونه حرا واعيا، تخلص -إلى حد ما- من الاستبداد، فاستطاع معرفة مصلحته وان يناقش بتوسع ومراجعة دائمة، قضايا مصيره، وعلاقته بغيره. وهل تكفي قيمه القديمة في مواجهة عالم جديد؟

وكان نقاشنا طويلا حول هذا الموضوع مع الدكتور محمد العلي أما الدكتور خالد فكان أقل كلاما منا نحن المتجادلين دائما، ومحمد رابعنا كان قليل المشاركة، حريصا على السماع. مرة يحدونا للكلام استفزاز ما نرى، أو مراجعة أفكارنا على الواقع، ومرة مزاج التسلية للمسافر، أو ما يسمى قديما بـ: " حديث -محادثة – الركبان" مما لم نبتدع له بعد بديلا معاصرا!! ولعلنا لا نحتاج لكلمة بديلة، نصف بها حديث الركبان، كيف وقد خلع

Twitter: @ketab_n

الشاعر على هذه العبارة أجمل سياق في قوله: "كانت محادثة الركبان تخبرنا عن خالد بن بكير أحسن الخبر، حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما قد رأى بصري". والمسافر زاده الخيال، ويصطنع لنفسه الآمال، وإن حاصره الظمأ خادعته بالآل الرمال. ولكم كنا في ربوع الماء عطشى، فكنا نتحدث عن كثير مما عطشنا له!

وجرى الحديث، وجاءت الإشارة أن المثقفين العرب المتغربين كانوا يحجون لباريس لمقاهيها الثقافية التي يجدون فيها سارتر ينتظر على مقهاه، يكتب ويقرأ ويناقش، ويرسل للعالم ما كان يسميه وصحبه الثقافة الوجودية، يكتب روايات وفلسفة، ويتلقاها الجائعون للثقافة في العالم العربي وغيره كما يتلقون خير ما تهفو له القلوب. والآن لو عرض سارتر بلا شيء لما قرأه أحد، وليس هنا كاتب نتمنى القراءة له، وأهم الروايات الفرنسية التي تكتب في فرنسا يكتبها العرب، أمين معلوف والطاهر بن جلون ودهمان كاتب رواية الحزام.

الكتاب الذي كان أكثر بيعا في فرنسا قبل أشهر هو كتاب من نوع كتب الخرافة والأساطير ونفي الواقع وهو كتاب تيري ميسون الذي يزعم أنه لم تصطدم طيارة بمبنى وزارة الدفاع الأمريكية، يوم ١١ أيلول. وهذا النوع من السقم يحقق الربح الأكثر والتوزيع الأكثر. ثم قلت من تعرفون من كتاب فرنسا وفلاسفتها المعاصرين؟ لا إجابة.

Twitter: @ketab_n

وهكذا في الغرب عموماً هناك الآن صحفيون ناجحون، ومراقبون واستراتيجيون يرعبون ويمكرون، ولكن لم يعد عندهم ما يبشروننا به، ولا ما يجذبنا ولا شبابنا. ومأساة حضارة "ما" عندما تفقد هذه الجاذبية. بقيت آثار أوروبا الكثيرة، وبقيت "معابد الحداثة" المتاحف يهتم بها الحداثيون وأمثالهم، ويحاولون إنقاذ الحداثة التي هي مزيج من القتل للضعفاء، وعنف في الفكر، وتأليه للإنسان وفكره، وقطعيات وثنية كثيرة، سيبقى العقل والفكر يشقى بها طويلا. نحن لم نزر في رحلتنا هذه متحف "بل معبد" اللوفر ولا برج باريس، وهما محجان لزوار هذه المدينة. والمتحف سجل مهم لأفكار الغربيين وهروبهم من المسيحية، وهم يجولون الأرض والفكر بين وثنية اليونان ووثنية الشرق، ووثنيتهم المعاصرة. لست أستغرب أن أجد هذه المحجّات لا تجلب لها زوارا ولا سوقا، لأن عند الناس ثقافات أخرى، ورؤى أخرى تخالف أسلافهم. إن الغربيين والشرقيين يذهبون لعالم من التفكير المتوثب لعالم جديد، يتنبؤون به، ويحاولون أن يصفوا مستقبل الإنسان القادم، وملامح حياته. وآخرون يقولون لا لقد بدأ الإنسان منذ زمن العيش في زمن آخر، وبلادة المثقفين تحجزهم عن رؤية العالم الجديد الذي يحياه العالم. كان الجدل مفيدا ومهما، وأحسن ما فيه التساؤل، فالسؤال المهم قد يكون محطة الإجابة الأولى، وقد يموت السؤال بجواب ضعيف، أو أمنية يتوقعها صاحبها حقيقة فكرية أو حضارية.

كما أن أعمار الحضارات أطول من فكرة الإنسان عنها، ومن قدرته على تلافي انحدارها، وفي نظام الحضارة الغربية حقيقة

Twitter: @ketab_n

ندر وجودها في غيرها من الحضارات السابقة لها، ألا وهي إمكان النقد والتجديد والإصلاح، والاعتراف والمحاولة الجادة للتغيير، وجعل مشكلة الأمة مشكلة عامة يتناقش كثيرون في طريق إصلاحها، وجعل الرخاء والتقدم والقوة والخيال والإنتاج حق للجميع تقريبا. وقد كان مالك بن نبي يؤرخ لأول انكسار في مسيرة الحضارة الإسلامية بتغيير نمط السلطة زمن معاوية وما تلاه، وذاك إيغال بعيد في التأريخ للانحدار، ويقدم مبررات كثيرة قد نقبلها أو لا نقبلها ولكنه قدم حججا تستحق الإهتمام، وذلك بالمفارقة ما بين الروح والعمل، وبين القيم والنظام.

وطريق نفوذ وسمو الحضارات والأمم ونجاحها لا يتم إلا بعمل كثير ودائب، واجتماع والتئام في التوجه والتفكير، يجمع الروح والعقل واليد والثروة. ويسير بها في طريق مفهوم أو معروف من قبل أكبر قطاع من الناس في زمن من الأزمان. ومن لم يبدأ السير في هذا الطريق قد لا ينفعه قيام مدنية ولا حضارة أخرى لأنه قد يستمر ضحية لغزاة جدد، وحضارات أخرى، قد تكون أقل أدبا وأقل رعاية لحقوق الإنسان، وتسيء له ولما عنده أكثر من تلك الحضارة التي غربت، أو التي تتهاوى إلى ظلمات الماضي السحيق.

وأجيب عن: ما ذا بقي من الغرب؟ بقي منه أهم حضارة تقنية عرفها الإنسان عبر تاريخه المعروف لنا، وبقي لها على الإنسان فضل كبير في الطب والصناعة والتجارة والاقتصاد والمتع والتعليم وغيرها، وبقي منه السيارة والطيارة والكومبيوتر والإنترنت والأقمار الصناعية، وبقي منه آثار الاستعمار، وانتشار المسيحية، والقنابل النووية والعنصرية، وملايين القتلى، وسموم أفكار لن

Twitter: @ketab_n

تنتزع من عقول الناس بسهولة. وكثير كثير مما يصعب حصره أو ذكره. وبقي لها أنه ليس هناك من حضارة قادمة لن تتأثر بها، أو تستفيد منها، وقد تولد الحضارة القادمة من رحمها، وتتبنى الكثير من قيمها رغبة أو إرثاً.

ليس هناك في ثقافة الناس تلك القطيعة الثقافية الحاسمة مع الحضارات الأخرى، تلك القطيعة التي يحب كثير من مفكري الإسلام الإقناع بها، ويحبون ذكرها، ولكنها قد لا تكون حاسمة إلى حد بعيد. فالتواصل بين الناس أقدم من أن يتحدث عنه الناس، والتماسك الحضاري أكبر من أن يوصف. وليس في الشرع ولا في الواقع ولا ما يتصوره العقل من حضارة أو مجتمع بشري جاء بنفسه دون عون من غيره، أو دون خبرة منقولة أو متوارثة، أو صنعة مجلوبة، وقد مارس غربيون كثيرون محاولات الإقصاء للثقافات والأمم من غيرهم، وحاول جمع كبير منهم نفي آثار الأمم الأخرى. ولكنها محاولات لها أسباب عنصرية، وعقد قومية ودينية، لا تساوي شيئا في سياق البحث التاريخي المنصف.

والأمم في حال بزوغ قوتها تتنكر لغيرها، وتحب أن تزعم أنها الوحيدة التي رأت شمس الحضارة، والوحيدة التي ولد عندها العقل ذلك اليوم. ثم يمر زمن وتجلس مع الناس في الأرض نفسها التي سبق غيرهم أن جلس بها وتتواضع بعد صلف وتعال طويل.

حملت معي مجلة "فوربس" في عددها الخاص بمناسبة عيد عامها الخامس والثمانين، فقد بدأت المجلة كما يقول محررها في العام الذي بدأت فيه البلشفية، والمجلة باقية بعد سقوط هذه

Twitter: @ketab_n

الفلسفة، وروسيا اليوم في تحالف مع أمريكا، والصين تعترف برجال الرأسمالية، ويقول الكاتب: "أخيرا في هذا العدد نحتفل بقوتين قرّبتا العالم وجمعته هما "الاختراع والرأسمالية" القوتان اللتان لم تعترفا بحدود، فالأفكار العظيمة تهاجر عبر الحدود، بالرغم من كل محاولات الإيقاف." السنين والأفكار، توم بوست، ص ١٢٣.

إن المحرر يحتفل بعيد رأسمالي جديد. عدد مليء بالآمال والمخاطر، والمخاوف والإستراتيجيات، إنها صورة لثقافة بلد، في نهاية عام، ففي نهاية كل عام ميلادي وبداية آخر تصدر بعض المجلات نسخا مستقبلية خاصة، تهتم بالحديث عما تم وما يتوقع، وتؤرخ للرجال الذين أثروا في الاختراع والثقافة والمال. وفيها حيل على المعلنين بهذه الطبعات الخاصة، كما أن فيها أيضا فائدة كبيرة.



Twitter: @ketab_n

السياحة على الحضارات

يقوم كثيرون بالسياحة على مظاهر الحضارات، يقفون عند صورها وأشكالها، وتغيب عنهم روحها. وهؤلاء السائحون ينقلون عادة قطعا من مظاهر الحياة، يصفونها للقراء، أو يتعلقون بها، وتختفي وراء هذه المظاهر قيم حضارية كثيرة ومبادئ وحقائق لا تنفذ لها عين عابر، وقد لا يدركها بصره فضلا عن بصيرته. وقد رأيت علماء الحضارات يعتركون على أسباب الصعود وأسباب الهبوط عند الأمم فكيف بعابرين أو متعجلين، وبأقوام هم أميون أو في حكمهم؟ ليس منهم من أنصت طويلا لأستاذ في تاريخ الحضارات ومقارنتها، أو تواضع أمام كتب تصف له ما يراه، أو رآه.

لقد راعني جهل الذين سبقونا وعاصرونا بالمجتمع الذي يدرسون فيه، فهم ما بين شارد في الشوارع وعلى أبواب المسارح والسينما والمراقص، يدخل أميا ويرجع أكثر جهلا، عرف كلمات رددها بلا وعي. وبين معرض عن ثقافة المجتمع وحياته يقص عليك قصصا مقطعة لا تكتمل فيها فكرة، ولا تبني عليها عملا. ورب مسافر أو قارئ لكتاب ألمّ بأكثر مما ألم به من سافر لذلك البلد. بل الأصعب من ذلك أن الذي كنت أعرفه لا أستطيع العمل به، ولا الاستفادة منه، لحواجز كثيرة أوهامها أكبر من حقائقها. وفواصل الأعراف والتقاليد كانت سلطانا قاهرا فوق رؤسنا لم نعرف طريقا لتجاوزها، وحالت بيننا وبين

Twitter: @ketab_n

إنجاز الكثير مما كان يمكن إنجازه. فكنا كلما أقبل علينا الناس هربنا منهم، وقد نجتزئ القول، ولكننا نملك أن نقول إننا شاهدنا وعرفنا وتعاملنا مع جزء من الحقيقة، ومن أراد أن يعرف فلينفق من الجهد على الدراسة العميقة عن المجتمع وقتا، وينفق وقتا على العلاقة العملية الواعية بالمجتمع مثل ذلك.



Twitter: @ketab_n

الإقلاع إلى درب جديد

يصدق القول أن هذا الطريق الذي سرت فيه لم يسره غيري، ولم يره، فلكل مسافر عين، وإهتمام، ومنازل يحبها، وأخرى يعرض عنها، والفيلسوف الذي قال إنك لا تضع رجلك أو يدك في النهر مرتين، صاغ عبارة رائعة وصحيحة، مليئة بالحكمة. فأنت لا تسير في درب مرتين، أنت مختلف في حالك ومشاعرك ورفاقك واهتماماتك، وأقل الفروق العمر، وكثيرا ما يراه بعضهم هو الحاسم الفاصل. وكما يختلف ماء النهر الذي تلمسه الآن عن ذلك الذي لا مسته من قبل.

ويوم ذكر لي رفيق رحلتي أنه سيكتب عن نفس الرحلة، فرحت برحلته، لأنها ستكون رحلة جديدة، والمكان والدروب التي جمعتنا قد لا تكون جمعت جميع مشاعرنا. ولهذا فرحلته ربما لم أعرفها، ولم أشاركه فيها أحاسيسه واهتماماته، وقد تكون رأت عينه غير ما رأيت، أو رأت فيه غير الذي رأيت.

إن رحلته غير رحلتي. ويوم كتب رحالة عن الدنمرك وهجاها، وهجا أرضها وسماءها وأهلها، وكان من قبل قد مدحها غيره، فرد عليه الطيب صالح بكلام من نحو قوله: "يا زول إنك لم تزرها في شرخ شبابك وإقبال مالك واتساع زمانك" هذه المدن التي كتبت لك عنها هنا قد سبق أن مررت عليها مرارا من قبل، ولكن الذي رآها آنذاك غير هذا الذي يكتب عنها الآن، والزمان غير الزمان، والمشاعر مختلفة، ورفاق الطريق لا يعودون في كل رحلة.

❀ ● ❀

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n
18.1.2012

رحلة قصيرة، تتجلى فيها متعة اكتشاف المكان والزمان والأفكار.

مشاهد مما وقع بعد أحداث الحادي عشر من أيلول للناس وللثقافة في أمريكا.

أضواء كاشفة تجعلك تفكر فيما تعودت أن تراه عاديا.

وإذا كان عماد الأدب الصورة، فإنك ستشارك في رؤية ومراقبة حتى تلك المواقع التي لم يسبق أن رأيتها من قبل.

أو تراها مرة أخرى بغير عينك.

مواقف طريفة ونكت لاذعة.

المكتبات، والكتّاب الذين يقرأ لهم الناس، وتوجهات القراءة والتأليف.

مناقشات عن المسلمين ومستقبلهم في أمريكا.

أخبار من قصر فرساي، ومعابد الحداثة.

وندوة في جامعة السربون.

حوار مع ملحد في الطائرة، وذكرياته عن السكن مع يهود متشددين.

وطالبات جامعة أمريكية يتحجبن.

هذا النص سفر في الثقافة، غني بالمتعة والإثارة.



موضوع الكتاب: أدب الرحلات
موقعنا على الإنترنت:
http:/www.obeikanbookshop.com